المخدرات بين الدين والطب

تأليف

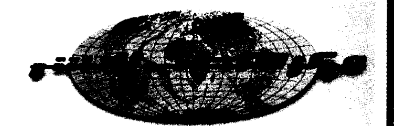
د. حسنى محمد الرودى
جامعة قناة السويس
وجامعة أم القرى

د. أحمد عبده عوض
عضو هيئة التدريس
بجامعتى طنطا وأم القرى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مركز الكتاب للنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٠



مصر الجديدة : ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون : ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس : ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر : ٧١ شارع ابن النفيس - المنطقة السادسة - ت : ٢٧٢٣٣٩٨



الحمد لله رب العالمين، مُنَزّل الكتاب، ومُسيّر السحاب، وبيده الملك، حمداًلله الذى أحل لنا الطيبات، وحرم علينا الخبائث، وشرع لنا من الدين ما يقينا من كل ضرر بنفوسنا وعقولنا ومجتمعاتنا. والصلاة والسلام على خير الأنام، ورسول الهدى والنور صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وذوى نسبه وبعد..

فإن قضية المخدرات من قضايا العصر الساخنة، ومن الظواهر الخطيرة التى تستوجب شحذ الهمم، والتصدى لها، لأن نواقيس الخطر ونذر الهلاك وإرهاصات الوباء ناصعة للعيان.

ومما يؤسف عليه أن المنطقة العربية والإسلامية مستهدفة من دول أخرى؛ تهدف إلى تدمير شبابها، واستنزاف طاقتها، وإذهاب مواردها، ولذا زاد عدد المدمنين لهذا الوباء فى دول عربية وإسلامية بصورة تفوق مثيلاتها فى باقى دول العالم.

ومن البداهة أن نقرر أن الالتزام بتعاليم الدين الإسلامى، وتمتع الأسرة الإسلامية بالتماسك، واستقامة الأفراد فى المجتمعات الإسلامية، واتسام أبناء هذا المجتمع بالاهتداء كل هذا يجعلنا فى منأى عن كل صور الانحراف، والشذوذ، والضياع، والتردى، والسقوط، والهوان، والقلق، والهروب، والجنوح.

فقد حرص الإسلام على حماية الضروريات الخمس التى يقوم عليها بناء المجتمع الصالح: أى حماية النفس، والعقل، والدين، والمال، والعرض.

وجاءت النصوص المحكمة تحرم كل ما يخلق الضرر بشئ من هذه الضروريات وليس بخاف أن العقل من أعظم النعم التى أفاء الله بها على بنى

البشر، وجعله أحد مناط تكريمهم، وجعل شرطًا لتحمل التكاليف الشرعية بكل جوانبها. واعتبر العبث بهذه النعمة، والعمل على إفسادها بأية وسيلة كانت من الجرائم الكبرى التى تعطل أهم ملكات الإنسان، التى تدفعه للتفكير فى الذات، والنظر فى خلق الله، والتدبر فى الكون من حوله.

غير أن هذا العقل عندما يدمر، ويعتدى عليه، ويغيب؛ تكون هذه كارثة عظيمة؛ تستوجب دراستها والتصدى لها.

وعندما تتعطل نعمة العقل يتعطل عطاء أبناء الأمة، ويؤذى اقتصادها، ويختل ميزان إنتاجها، وتتداعى للسقوط والانزواء، والمخدرات والمسكرات، والمفترات عندما تستشرى فى أمة فإنها تلحق الدمار باقتصادها، وبنائها الاجتماعى، ونسقها الفكرى، بل ويتهدد استقرارها.

وتدليلاً على ما تقدم فقد نُشر قبل أيام أن المركز القومى الصينى لمكافحة المخدرات ذكر أن انتشار المخدرات يهدد استقرار الصين، ويضر باقتصادها بصورة ملموسة، وذكر التقرير أن سبب تنامى تعاطى المخدرات بالصين يرجع إلى ارتفاع معدلات الدخل، والطابع الغربى الذى طغى على مظاهر الحياة بالمجتمع الصينى.

ولا نجد كثير مبالغة فيما تقدم خاصة إذا علمنا أن دولة إسلامية وهى ماليزيا البلد الإسلامى يقدر عدد المدمنين على المخدرات بها واحدًا من كل ١٧٠ شخصًا، وهذه نسبة عالية جدًا تفوق للأسف الشديد نظيراتها فى الدول المتقدمة، فمثلاً فى الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ النسبة واحدًا لكل ٤٦٠ شخصًا!!

ولك أن تتأمل كيف استطاع الغرب نقل الجانب الأسوأ من أمراض الحضارة إلى بلاد العالم الإسلامى؛ لأجل إلحاق الخراب والدمار بكيان هذه البلاد.

وبالتفاتة يسيرة إلى زادنا الفكرى، وتراثنا الحضارى نجد أن مقومات الحماية والحصانة موجودة فى زخم عظيم من آى الذكر الحكيم نقرأ مثلا ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [سورة الأنعام: ١٥٣].

ونقرأ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف : ١٥٧].

وحق علينا أن نقول إن العلماء والباحثين خلصوا إلى أنه ليس هناك من مهذب لطبائع الشعوب مثل الدين، الذى يحمى الإنسان، ويحيطه بسياج من الوقاية، ويحميه من أن يقع فى الخبائث، بعد أن يغرس فى نفسه قواعد الحلال والحرام، ويعرفه على المباح والمحظور، وبدون ذلك ستظل البشرية تتخبط فى تجاربها بين نظام وآخر. حتى تعود إلى حظيرة الدين.

وتأتى محاولتنا هذه لتناول قضية المخدرات، من باب التبصير والتنوير، وبيان الخطر، وبيان النواحى الشرعية والطبية فى موضوع المخدرات.

وكتابنا هذا **(المخدرات بين الدين والطب)** يتناول عدة جوانب مهمة، متنوعة المعالجة، وذلك فى أربعة فصول رئيسية، متدرجة فى عرضها.

حيث يستهل الكتاب بدراسة (المخدرات والإدمان - الدلالة، المظاهر، الأعراض) فى أربعة مباحث، نعرض فيها للمخدرات من ناحية تاريخية، ورؤية لغوية، ومناهجية، ثم نعرض للإدمان من حيث دلالة المصطلح والأعراض، ثم نعرض لأسباب زيادة انتشار المخدرات، وختامًا نتناول المفترات من حيث الدلالة والأنواع والمظاهر، وهذا ما نرصده فى **الفصل الأول**.

أما **الفصل الثانى** فقد عرض لأضرار المخدرات ومخاطرها وعواقبها، وذلك فى مباحث ثلاثة، أوضحنا فيها جوانب ضرر المخدرات بالفرد، وجوانب ضرر المخدرات بالمجتمع، ثم جوانب أضرار المفترات بالفرد.

وتبع ذلك **الفصل الثالث** الذى أبرز الجانب الطبى فى المخدرات والإدمان، وذلك فى خمسة مباحث، تناولت ظاهرة الاعتماد، ومضاعفات الانقطاع الفجائى عند أخذ المخدر، والتعرف على مفهوم ومصطلحات ومواد الإدمان من

الجانب الطبى، ثم عرض لنبذة عن الأضرار الصحية لإدمان الأفيون والمورفين والهيروين، وختامًا لهذا الفصل أوضحنا كيفية الوقاية المبكرة من إدمان المخدرات.

وجاء **الفصل الرابع والأخير** موضحًا للأحكام الشرعية فى المخدرات والمفترات، وذلك فى أربعة مباحث، تناول الحكم الشرعى فى تعاطى المخدرات بعامة، ثم فى تناولها عن طريق الحقن، ثم فى تداول المخدرات والمفترات والجلب، والتصدير، ثم فى الجلوس فى مجالس المخدرات والمفترات.

ومن خلال هذه العناصر التى حرصنا على شمولية تناولها، وتكاملية معالجتها، وسعة أطرها، وتركيز مادتها، يتبين مدى الحاجة إلى مثل هذه الدراسات المبسطة الجامعة لأمور الدين والطب من قضايا عصرية مهمة.

وندعو الله العظيم أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات.

المؤلفان

الفصل الأول

بين المخدرات والإدمان
(الدلالة ، المظاهر ، الأعراض)

أولاً: المخدرات (نبذة تاريخية، ورؤية لغوية ومفاهيمية)

ثانيًا: الإدمان (دلالة المصطلح - الأعراض)

ثالثًا: أسباب زيادة انتشار المخدرات

رابعًا: المفترات (الدلالة - الأنواع - المظاهر)



الفصل الأول(*)
بين المخدرات والإدمان (الدلالة، المظاهر، الأعراض)

أولا: المخدرات (نبذة تاريخية، ورؤية لغوية ومفاهيمية):

نبذة تاريخية: تعتبر ظاهرة المخدرات من الظواهر القديمة التى عرفت منذ آلاف السنين، فقد عرف الإنسان بعض النباتات والأعشاب، واستعملها للعلاج أحيانًا، وفى بعض الطقوس السحرية أحيانًا أخرى، وحينما انتبه العلماء إلى تأثير هذه النباتات، قاموا بتحليلها، واستفادوا منها فى أغراض طبية وعلاجية، مثل تخفيف الآلام المرضية، أو لإجراء العمليات الجراحية.

وقد قامت زراعة بعض هذه النباتات؛ لاستخلاص المواد الفعالة منها، وتصنيعها بما يخدم الأغراض الطبية والعلاجية.

وهى بهذا تعتبر من أقدم العقاقير التى عرفها الإنسان، فقد عرف الحشيش منذ فجر التاريخ، وكان الغرض من زراعته: استخدام أليافه فى صنع الحبال، ونسيج الأقمشة، كما استعمل كدواء مسكن، وقد بدأ استعمال الحشيش كمخدر فى القرن العاشر بعد الميلاد، وانتشر تدريجيًا بدرجات مختلفة، فى كثير من دول العالم.

وعلى الرغم من أن الأوربيين يعتقدون بأن موطن الحشيش هو الشرق الأوسط، فإن الحشيش عرف منذ القدم فى مناطق مختلفة من العالم، حيث عرفه الآشوريون، والرومان، والفرس، وقدماء المصريين، كما أنه كان معروفًا عند الهنود والصينيين منذ عام (٢٧٠٠) قبل الميلاد، وعرف فى ألمانيا فى عام (٥٠٠) قبل الميلاد.

أما الخشخاش (الأفيون) فقد كان أول من عرفه هم سكان وسط آسيا، ومنهم انتشر إلى جميع بقاع العالم فاستخدمه السومريون، ومن بعدهم البابليون

(*) بقلم: د. أحمد عبده عوض.

والفرس، ثم انتقل إلى المصريين القدماء والإغريق، كما استخدمه الصينيون والهنود.

وهو نبات حولى من رتبة رودااليز، أزهاره مفردة زاهية اللون، حشرية التلقيح، وثمرته متفتحة؛ أشبه بعلبة ذات ثقوب علوية.

وقد ظل الخشخاش يزرع فى مصر حتى عام (١٩٢٦م)، إلى أن صدر قانون يحرم زراعته، وإن كان زارعوه قد استمروا فى نشاطهم فترة طويلة باستخدام الحيل المختلفة، مثل زراعته متفرقا فى حقول الذرة والقصب، خشية اكتشاف رجال الأمن لنباته.

وقد استعمل لعلاج بعض الأمراض، مثل وقف حالات الإسهال، ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد استحضر الترياق من الخشخاش الذى اشتهر إهداؤه إلى الملوك والأمراء، ويعتبر الترياق أكثر التحضيرات الدوائية عمرًا على الإطلاق، وكانت الاحتفالات السنوية تقام فى مواسم تحضير الترياق فى القاهرة والقسطنطينية والبندقية، حيث كانت تجارة الأدوية، والتوابل تمر من الشرق إلى الغرب.

ولا يزال تعاطى الأفيون حتى الآن، وعند كثير من الشعوب يستخدم فى الطب الشعبى كعلاج لكثير من الأمراض، كما هو الحال فى الهند، وعند شعوب شرق آسيا وجنوبها، وفى مصر أيضًا، وخاصة فى ريف الصعيد، ولا زال يوصف أيضًا كعلاج شعبى لبعض الأمراض، كما يوصف مسكنًا لبعض الآلام مثل: حالات الإسهال، والدوسنتاريا، والرشح، وآلام المفاصل والروماتيزم، وآلام الأسنان، والبرد، والرعشة، والمغص، فضلاً عن التعاطى لأغراض الكيف، وتحقيق الشعور بالنشوة، والراحة، وتحمل العمل، والنشاط الناتج عن حالة الاعتماد الفسيولوجى على المخدر بسبب الإدمان.

وفى عام (١٨٠٦م) تمكن أحد العلماء الألمان «سيرتيرنر» من فصل مادة المورفين عن الأفيون، وأطلق عليها هذا الاسم؛ نسبة إلى مورفيوس، إله الأحلام فى الأساطير الإغريقية، كما تمكن عالم إنجليزى فى عام (١٨٩٨م) من

استخلاص مادة الهيروين، وبدأ إنتاجه تجاريًا، ثم توالى بعد ذلك إنتاج مركبات أخرى من مستخلصات الأفيون، وتستخدم جميعها كأدوية علاجية، وإن كان الأطباء لا ينصحون بها إلا عند الضرورة القصوى؛ لما تسببه من إدمان، واستيلاء على شخصية المتعاطى.

كما عرف الكوكايين أيضًا منذ (٥٠٠) عام قبل الميلاد، فى أمريكا الجنوبية، حيث كان هنود الأنكا يمضغون أوراق نبات الكوكا الذى كان ينمو فى هذه المنطقة، وكان يباع فى الصيدليات فى القرن التاسع عشر الميلادى، وبدون وصفات طبية، وذلك لتخفيف الآلام، كما استخدمه الأطباء كمخدر موضعى فى بعض العمليات الجراحية، وبعدما ثبت خطورته، استخدموا بدلاً منه موادًا تخديرية موضعية بصورة أخرى، غير مسببة للإدمان مثل البروكائين.

ثم تطورت أساليب التخدير بعد ذلك، إلى استخدام مركبات كيميائية لها نفس فعالية هذه المواد، وعرفت باسم المواد التخليقية (المخدرات البيضاء) نسبة إلى لونها، حيث تم اكتشافها فى عام (١٩٣٦م) عندما أمكن تركيب مادة (البيتدين) المخدرة، وكانت آثارها شبيهة بآثار المورفين، ثم أعقب ذلك سيل لاحصر له من هذه المواد، ولم يكن الغرض من تصنيعها التعاطى، بل كان علميًا بحتًا، وبالتطور الحتمى للعلوم الكيميائية والطبية؛ ظهر العديد من أنواع العقاقير المهدئة، والعقاقير المنومة، والعقاقير المنشطة. ولها من خاصية الإدمان ما يمكن أن يجعلها مجالاً فسيحا للتجارة غير المشروعة.

ما المخدرات: اشتقت كلمة مخدرات من الكلمة اليونانية (Mark) ومعناها النوم، وقد كان سوء استخدام الأفيون هو المظهر الأساسى للإدمان فى العصور القديمة، ولعل هذا هو الذى حدد الاصطلاح، فالأفيون يؤدى إلى حالة من الاسترخاء والنوم، أما الاصطلاح الحالى للمخدرات، فإنه يضم أنواعًا أخرى من العقاقير شديدة التأثير، مثل الكوكايين، مع أنها لا تؤدى إلى الاسترخاء والنوم، وإنما تعطى تأثيرًا مغايرًا تمامًا.

والتعريف القانونى للمخدرات يشير إلى أن هناك مجموعة من المواد تسبب الإدمان، وتسمم الجهاز العصبى، ويحظر تداولها أو زراعتها أو تصنيعها إلا لأغراض يحددها القانون، ولا تستعمل إلا بواسطة من يتم الترخيص له بذلك، وتشتمل هذه المواد على: الأفيون ومشتقاته، والحشيش، وعقاقير الهلوسة، والكوكايين، والمنشطات، ولكنها لا تضيف الخمر والمهدئات والمنومات ضمن المخدرات؛ على الرغم من أضرارها، وقابليتها لإحداث الإدمان.

واقتصر اسم المخدر فى الماضى على المخدرات التقليدية التى تشمل الأفيون ومشتقاته، ثم أضيف الكوكا والقنب الهندى إلى القائمة.

وقد تعددت الآراء حول ماهية المخدرات، فقد عرفتها لجنة المخدرات بالأمم المتحدة بأنها: كل مادة خام أو مستحضرة تحتوى على عناصر منومة أو مسكنة، من شأنها عند استخدامها فى غير الأغراض الطبية أو الصناعية أن تؤدى إلى حالة من التعود، أو الإدمان عليها؛ مما يضر بالفرد والمجتمع جسمانيًا ونفسيًا واجتماعيًا.

والمخدر هو كل مادة ينتج عن تعاطيها فقدان جزئى أو كلى للإدراك بصفة مؤقتة، وتحدث فتوراً فى الجسم، وتجعل الإنسان يعيش فى خيال واهم طوال فترة وقوعه تحت تأثيرها.

وتعنى كلمة مخدر فى اللغة العربية اسم فاعل من خدر، ومصدره التخدير، ومن صوره: الفتور، والكسل، والتحير الذى يعترى الشارب عندما يبدأ فى السكر، ومنها، فتور العين أو ثقلها، من قذى ونحوه.

وهذه المعانى جميعها متحققة فى الإنسان المخدر، حيث يبدأ التأثير عنده بفتور فى أطرافه، وتحير فى تصرفاته، وتكاسل عن القيام بأعماله، ثم لا يلبث أن تعترى عقله الظلمة التى تستره عن معرفة حقائق الأشياء، وحينئذ تسكن روحه، ويذبل نشاطه، ويتخلف عن مواكبة المجتمع.

كما تعنى كلمة مخدر فى اللغة: ما يؤدى بالإنسان إلى افتقاده قدرة الإحساس لما يدور من حوله، أو ما يؤدى به إلى النعاس والنوم، وفى الحقيقة أن «اللفظ مخدر» لغويًا أصبح لا يفى الآن بالغرض، لأن العقاقير التى ساء استخدامها، من الممكن أن تكون أكثر إيضاحًا وشمولاً، حيث إن المنشطات أو المنبهات لا يمكن وضعها تحت مسمى مخدرات.

إلا أن كلمة مخدر فى اللغة العربية تعتبر أكثر دقة ودلالة من الكلمة المقابلة لها فى اللغة الفرنسية والإنجليزية، لأنها تعنى من الناحية العلمية: العقار أو أى مادة يستخدمها الأطباء أو الباحثين فى علاج الأمراض، أو فى مجال فسيولوجيًا الكائن الحى، ولكن كلمة عقار تستخدم - فى نفس الوقت - بمعنى المخدر ذى الخصائص المعروفة فى التنبيه، كما يرتبط استعمالها بالوصمة وعدم القبول؛ من حيث هى مواد ضارة بالفرد، وغير مقبولة اجتماعيًا، وهكذا نجد أن لها معنيان فى اللغات الأجنبية.

والتعريف الكيميائى للمخدرات هى: إنها عبارة عن مواد كيميائية؛ تسبب النوم، وغياب الوعى المصحوب بتسكين الآلام، لذلك توصف بعض المخدرات بحذر شديد من قبل الأطباء لتسكين بعض الآلام.

وعلى ذلك فالمخدرات: هى مواد تحتوى مكوناتها على عناصر من شأنها إذا استعملت بصورة متكررة، أن تأخذ لها فى جسم الإنسان مكانًا، وأن تحدث فى نفسيته وجسده تغيرات عضوية وفسيولوچية ونفسية، بحيث يعتمد ويعتاد عليها بصورة قهرية وإجبارية، مما يؤدى إلى الإضرار بحالته الصحية والنفسية والاجتماعية، وهذا الضرر يلحق بالفرد نفسه وبأسرته وبالمجتمع الذى يعيش فيه كمدمن للمخدرات، وتأثير هذه المواد يكون منبهًا للأعصاب، طاردًا للنوم، وهذه المواد إما أن تكون فى صورة طبيعية (أى خام) أو مصنعة فى المعامل (تخليقية)، وهى تستخدم بعدة طرق مثل : الشم ، أو الشرب، أو المضغ، أو الأكل، أو الحقن، أو التدخين.

وهى أيضًا المادة التى تؤثر على الجهاز العصبى المركزى، وعلى النشاط العقلى للإنسان، وعلى حالته الصحية والنفسية.

كما يمكن تعريفها أيضًا: بأنها كل مادة خام أو مستحضرة تحتوى على عناصر مسكنة أو منبهة، من شأنها، عند استخدامها فى غير الأغراض الطبية المخصصة لها، وبقدر الحاجة إليها، ودون مشورة طبية، أن تؤدى إلى حالة من التعود والإدمان عليها، مما يضر بالفرد وغالبًا ما تكون مركبات كيميائية، تستخرج من النباتات الخضراء أو الفطريات، وعمومًا فإن المواد التى تخدر الإنسان، وتفقده الوعى، وتغيب إدراكه، ليست كلها نوعًا واحدًا، وإنما هى بحسب مصدرها وأنواعها كثيرة ومتنوعة.

ومن المفيد إيضاح المفاهيم والتعاريف ذات الصلة بالمخدرات، وأهمها الإدمان.

ثانيًا: الإدمان (دلالة المصطلح - الأعراض):

لا نقصد بكلمة الإدمان على عقار ما، مجرد الاعتياد، أو طول مدة الاستعمال، وإنما نعنى تكوين عادة قوية وملحة؛ تدفع المدمن إلى الحصول على العقار، وبأى وسيلة مع زيادة الجرعة من وقت لآخر، مع صعوبة قد تصل إلى حد الاستحالة فى الإقلاع عنه، وذلك لاعتماد نفسيته، وعمل بعض الأنسجة على وجود العقار، ولهذا يطلق على الإدمان كلمة الاعتماد، وعلى العقار وليست كل العقاقير مسببة للإدمان، فهناك عقاقير مهما تعاطاها الفرد، يستطيع أن يمتنع عنها فى أى وقت، وثمة عقاقير أخرى لو استخدمها الفرد مدة كافية، لا يستطيع الإقلاع عنها، بل يشعر برغبة شديدة فى تناولها، ويضطر إلى زيادة الجرعة من وقت لآخر.

ويعرف الإدمان: بأنه استعمال لمواد مخدرة بصفة مستمرة، وبدون أسباب طبية، وبشكل دائم؛ بحيث يصبح المرء معتمدًا عليها نفسيًا وجسمانيًا، أو كليهما معًا، ولا يستطيع العيش بدونها، حتى ولو حاول ذلك، والإدمان يمكن أن يكون

للمشروبات الروحية ، والمخدرات ، أو للأدوية النفسية المهدئة ، أو المنومة أو المنشطة.

ويعرف أيضًا بأنه الحالة النفسية أو العضوية التى تنتج عن تفاعل الكائن الحى مع العقار، وهو: حالة من التسمم المزمن الناتج عن الاستعمال المتكرر للمخدر.

ويرى بعض الباحثين المهتمين بدراسة مشكلة الإدمان أنها تعتبر ظاهرة اجتماعية، لأنها تعتبر من الأمراض الخطيرة التى تتركز فى أعماق المجتمعات الإنسانية، ويرجعون ذلك إلى أن فئات المدمنين هذه، غالبًا ما يشعرون بالنقص تجاه إشباع حاجاتهم بطرق مشروعة، فيلجأون إلى الانحراف، واتباع بعض الأساليب غير المشروعة؛ هروبًا من مجابهة الواقع الاجتماعى الذى يعيشون فيه.

وعلى الرغم من قلة عدد المدمنين على العقاقير المخدرة عند مقارنته بعدد الكحوليين فى جميع أقطار العالم؛ فإن مشكلة إدمان هذه العقاقير تكاد تكون أشد خطرًا على الصحة الجسمية، والنفسية، والعقلية للمدمنين، هذا بالإضافة إلى أنها مشكلة كبيرة بالنسبة للسلطة العامة، سواء من حيث مكافحة الإتجار بهذه المواد السامة، أو منع تداولها، أو من حيث الوقاية والعلاج بالنسبة للمدمنين عليها.

فالإدمان مرض يصيب الإنسان رغم إرادته، لا أحد يريد أن يكون مدمنًا للمخدرات، ونقصد بالمدمن: الفرد الذى لا يستطيع أن يقوم بعمله إلا بعد أن يتناول مقدارًا مناسبًا من المخدرات المعتاد عليها، ونتيجة لذلك فإن عمله وإنتاجه يقل ويتدهور شيئًا فشيئًا.

والاتجاه العام فى موضوع الإدمان أنه عرض أو صورة لاضطراب فى الشخصية، تبدأ من الطفولة، ولهذا فهو يعتبر ستارًا لمرض نفسى أو عقلى، يخفف من الاضطرابات، والارتباك الداخلى للجهاز النفسى لفترة من الزمن، ولكنه يمهد تدريجيًا إلى الانتحار العقلى، أو إلى الانتحار البطئ، أو إلى مرض عقلى مزمن.

ويرى علماء الاجتماع أن الإدمان سلوك يتعلم، وأن الناس يتعلمون كيف يصبحون من المدمنين، وهم يرفضون الرأى القائل بوجود عناصر فى الشخصية، أو استعدادات فى الطفولة تهيىء للإدمان، ويرون أن أولئك الذين ينادون بأن المدمنين لهم تكوين خاص فى الشخصية، يقومون فى العادة بدراسة المدمنين بعد أن يستفحل معهم الإدمان، وكل ما يقال عن شخصيات هؤلاء المدمنين قبل إدمانهم، ما هو إلا تخمينات، غالبًا ما تكون غير حقيقية.

ويقول «لند سميث» وهو من علماء الاجتماع، فى ذلك: أن من يستعمل المخدر يصبح مدمنًا بعد أن يمر بخبرة الحرمان، وبالتالى يتعلم أن التعاطى يزيل الأعراض التى يعانى منها.

كما أكد فينستو - فى دراسته التى أجراها فى نيويورك - على أن الثقافة الفرعية للمدمن غالبًا ما تكون فى مناطق المدينة التى تتميز بالحرمان الاقتصادى، والتفكك الأسرى، والحرمان، مع عدم وجود الضبط الكافى من الكبار.

ويرى مورد وفوجل: أن مدمنى الأفيون وغيره من المركبات، لا يتعاطاها المدمنون للحصول على النوم أو للتخفيف من الحاجة الفسيولوجية، ولكن لمجرد الحصول على الفرفشة والتخدير لذاته.

والإدمان عندهما: عرض لمرض توجد بذوره فى الظروف الاجتماعية، والاقتصادية التى تؤدى إلى عدم الشعور بالرضا والتعاسة والتوتر.

كما ثبت فى الدراسة التى أجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن تعاطى الحشيش فى مصر، أن ظاهرة الإدمان ترتبط بالفقر والحرمان، كما أن عدد المدمنين من غير المتعلمين كانت لهم الأولوية، وكان المدمنون ينتمون إلى طبقات محرومة اقتصاديًا واجتماعيًا، كما أن معظمهم ممن يعملون بأعمال مهنية معينة، ولذلك يرجع الإدمان إلى الظروف الاجتماعية التى يعانى منها الفرد، من خلال الواقع الاجتماعى، الذى يتعايش معه، ويرجع البعض الإدمان إلى مرض جسمى. عن طريق اضطرار الأطباء إعطاء المريض

أدوية مخدرة؛ مثل المورفين لتخفيف الآلام الشديدة، أو عقب العمليات الجراحية، أو الجروح الخطيرة، والغالبية العظمى من هؤلاء المرضى لا يقعون ضحية الإدمان، ذلك أنهم بمجرد شفائهم لا يعودون إليه.

أما أولئك الذين يعزون تورطهم فى الإدمان إلى استخدام الأدوية المخدرة خلال فترة المرض، فإنهم عادة ما تظهر عليهم عيوب أو نقائص فى الشخصية؛ تدفعهم إلى ذلك، ومن هذه العيوب محاولة الهروب من الحقيقة بالانغماس فى إدمان المخدرات.

وأحيانًا ما يقع أفراد المهن التى تستخدم المخدرات ضحايا إدمانها مثل الأطباء، والصيادلة، والممرضات (٤٠٪ ممن يعملون فى هذه المهن يتعاطونها) وقد يدفعهم إلى ذلك حب الاستطلاع، ولكن فى أغلب أحوال الإدمان يكون السبب سوء التوافق الذى يعانى منه الفرد، ويكون تعاطى المخدرات تخفيفًا مما يعانيه من القلق الناتج عن الظروف البيئية، مثل المتاعب الزوجية أو الطلاق، وعادة ما يجد هؤلاء الأشخاص أنفسهم وقد تكوّن لديهم الاعتماد الفسيولوچى، دون أن يدركوا أو يفهموا، كيف تطور الأمر إلى ذلك بالنسبة لهم، وهؤلاء لا يحصلون على الإرضاء السيكولوچى من تعاطى المخدرات، فعندما تتحسن أحوالهم، يكون فى استطاعتهم العودة إلى الحياة العادية بعيدًا عن الإدمان.

وتؤكد لجنة الخبراء التابعة لمنظمة الصحة العالمية أن الإدمان لا يقتصر على سبب اجتماعى دون نفسى، إلا أن تتعدد الأسباب بالنسبة للإدمان، وقد أجملته فى عدة أسباب منها:

- أن شخصية المدمن يكون بها خلل راجع إلى عيوب شخصية، إذ أنه يريد أن يلبى حاجاته ورغباته بأسرع وقت ممكن دون التمهل؛ بصرف النظر عما يترتب على هذا السلوك.
- مرور الفرد بأزمات نفسية نتيجة ما يعانيه من ضغوط اقتصادية أو عائلية، أو بسبب بعض الاضطرابات النفسية التى تنتابه، نتيجة عدم قدرته على تحمل ما يمر به من أزمات مختلفة فى بيئته الاجتماعية.

- بعض المعتقدات الخاطئة بأن المخدر سوف يجلب للإنسان قدرة خارقة، بإعطائه نشاطًا ذهنيًا وعلميًا قويًا وكاسحًا.
- شعور البعض أنه عن طريق تعاطى جرعة مخدرة سوف تجعله يشعر بنوع من السعادة والنشاط والحيوية.
- وقد يكون الإدمان نابع عن تمرد الإنسان على واقعه الاجتماعى، بما فيه من قيم تحكم سلوكه، وفى بعض الأحيان ينتج عن آلام حادة؛ يعانى منها الفرد نتيجة إصابته فى حادث، أو بمرض مزمن.
- ومن أهم أعراض الإدمان، عدم التمتع بالنوم العميق الكافى، وغالبًا ما يكون النوم مصحوبًا بالكوابيس والأحلام المفزعة، ويصاب المدمن بسرعة التحول فى الحالة المزاجية، ويثور بسرعة لأتفه الأسباب، ويعامل من حوله، خاصة أفراد أسرته بقسوة، ويعترى العطب ذاكرته، ويهمل مظهره، ولا يلوم المدمن نفسه، ولكنه يلقى باللوم على من حوله للحالة التى وصل إليها. ويتشكك المدمنون فيمن حولهم، وتقل قدرتهم على العمل، وتعترى الرعشة أيديهم؛ مما يضطر من يعمل منهم فى الصناعات الدقيقة إلى ترك العمل.

وأخيرًا فالإدمان هو نوع من أنواع التعود المستمر لأنسجة جسم الإنسان على مادة مخدرة، إذا لم يتم تعاطيها؛ يشعر الفرد بأعراض جسمية ونفسية مؤلمة، ولهذا يلجأ إلى استعمالها مرة أخرى، لكى تساعده على الاحتفاظ بمشاعر الراحة المؤقتة، ولهذا فالإدمان يعتبر مرضًا مزمنًا يؤثر تأثيرًا سلبيًا على الفرد من الناحية الصحية والاقتصادية والوظيفية.

ولابد هنا من التفرقة بين الإدمان والتعود، ولو أن هيئة الصحة العالمية رأت أخيرًا إلغاء لفظ الإدمان، واستبداله بالتعود، حيث أنه عندما لا يزيد المعتاد على عقار ما، الجرعة التى تعود عليها لعدة سنوات، فإنه لا يصاب بأية أعراض جانبية عند توقفه عن تعاطيه.

ويفسر البعض التعود بأنه الحالة التى يتشوق فيها الفرد إلى تعاطى المخدر، بسبب ما يحدثه من شعور بالراحة، وهذا التشوق ليس وراءه قوة مكرهة، ومن خصائصه:

١- استمرار استعمال المخدر، والرغبة فى تناوله، لما يسببه من شعور بالراحة.

٢- عدم تناول جرعات زائدة.

٣- يحدث قدرًا معينًا من الاعتماد النفسى، ولا يحدث اعتمادًا عضويًا.

٤- أضرار المخدر عكسية على المتعاطى، ولا يضار منها المجتمع.

* * *

ثالثًا: أسباب زيادة انتشار المخدرات:

ويمكن إيجاز أهم النتائج التى أدت إلى تعاطى المخدرات فيما يلى:

- انعدام تكافؤ الفرص أمام الشباب؛ أدى إلى عدم الإحساس بالأمن الذاتى، وعدم الاستقرار، والقلق المستمر، والخوف من المستقبل.
- كان للضغوط الاقتصادية، وارتفاع الأسعار المستمر، أثره الواضح على تعدد أدوار المرأة، وانشغال الآباء بأعمال متعددة؛ استنفذت معظم أوقاتهم، مما جعلهم لا يسهمون بشكل إيجابى فى تنشئة ورعاية وتوجيه أبنائهم.
- افتقاد الشباب إلى المثل الأعلى، والقدوة الحسنة على مختلف المستويات، سواء داخل أسرهم (آباء يتعاطون) أو فى إطار مجتمعهم بشكل عام، جعلهم لا يشعرون بأهمية ما يفعلونه من أعمال غير مشروعة.
- كان للقسوة الزائدة، والتدليل المبالغ فيه، ووفرة المال بين يدى الشباب، دوره فى انحرافهم.
- لصحبة السوء دورها البارز والمهم فى توجيه سلوك الشباب إلى الانحراف، والإتيان ببعض الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعيًا.

- أثر التغير الاجتماعى على القيم الثابتة، واستحداث قيمًا جديدة لا تتناسب مع الثقافة العامة للمجتمع؛ مما أدى إلى حدوث صراع بين القديم والجديد، مما أثر على التوازن النفسى والاجتماعى للشباب.
- سهولة الحصول على المخدرات بكافة أنواعها، على الرغم من ارتفاع ثمنها، أدى إلى ظهور بعض الانحرافات الأخلاقية والسلوكية الجديدة على المجتمع المصرى.
- كان للتغير الاجتماعى أثره الواضح فى استحداث فئات اجتماعية جديدة، تملك الثروة، ولكنها غير متعلمة؛ مما جعلها تفقد القدرة على توظيف ما تملكه فى تطوير ما تقوم به من أعمال، واتجهت اتجاهات مغايرة، كانت سببًا من أسباب الانحراف.
- أدى التغير الاجتماعى إلى إحداث خلل فى سلم المكانة الاجتماعية للأفراد داخل المجتمع، وذلك بسبب تفاوت الدخول بين العاملين بالأعمال العلمية، والتخصصية، والوظائف الحكومية، وبين من يعملون بالأعمال الحرفية، والمهن الطفيلية.
- أدت البطالة العادية، والمقنعة، إلى افتقاد الشباب لأدوارهم الاجتماعية التى يجب أن يؤدونها داخل مجتمعهم؛ مما يقلل من إحساسهم بأهميتهم الإنسانية، وجعلهم ينسحبون من الواقع الاجتماعى، إلى عالم الأحلام والخيال، والأهداف المفقودة.
- كان للتغير الاقتصادى أثره فى ارتفاع تكاليف المعيشة وما ترتب على ذلك من ارتفاع فى أسعار المساكن، وصعوبة الحصول عليها؛ مما رفع سن الزواج إلى معدلات لم يعرفها المجتمع من قبل، فنتج عن ذلك صراعات نفسية وأخلاقية قادت بعض الشباب إلى طرق غير مشروعة.
- أدى التغير الاجتماعى، وما صاحبه من تغير ثقافى إلى بث قيم الثقافة الغربية بين الأفراد، عن طريق أجهزة الإعلام المختلفة، وبخاصة

التليفزيون، والفيديو، مما كان له تأثيره الواضح على عادات، وتقاليد، وأعراف المجتمع المتعارف عليها.

- كان لانشغال الآباء عن رعاية وتنشئة أبنائهم أثره الواضح على عدم تنشئتهم التنشئة الإسلامية الصحيحة التى تكون خير عاصم لهم من الزلل، خلال فترات حياتهم المختلفة.
- عدم فهم وإدراك البعض للأحكام الإسلامية الصحيحة الخاصة بالمخدرات؛ أثر فى مدى إحساسهم بحرمانيتها مما أدى بهم إلى تعاطيها.
- يشكل عنصر الإرادة، درعًا مهمًا فى الوقاية من التعاطى، وبُعد الشباب عن الإسلام أضعف إرادتهم، وجعلهم يسلمون أنفسهم لمن لم يرحمهم.

رابعًا: المفترات (الدلالة - الأنواع - المظاهر):

عن شهر بن حوشب عن أم سلمة (رضى الله عنها) قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر وجاء ذكر «مفتر» فى حديث رسول الله ﷺ.

*** ويعرف المفتر لغة:**

الفتور هو ما يكون منه حرارة فى الجسد وانكسار فى الأطراف مع الضعف، والاسترخاء، ويتفاوت الانكسار، والضعف، والاسترخاء فى الأطراف قوة وضعفًا، حسب حالة وقدرة الشخص الصحية.

الفترة الانكسار والضعف ويقال: فتر الشئ والحر. أى خف وقل وفلان يفتر، ويفتره فتورًا. وفتارًا، سكن بعد حدة، ولان بعد شدة.

والفتر الضعف. وفتر جسمه: لانت مفاصله، وضعف. ويقال: أجد فى نفسى فترة وهى مثل الضعفة.

ويقال للشيخ قد علته كبرة، وعرته فترة.

أفتر الرجل، فهو مفتر. إذا ضعفت جفونه، وانكسر طرفه الجوهرى.

والمفتر: الذى يفتر الجسد إذا شرب. أى يحمى الجسد فيصير فيه فتور.

المفتر بضم الميم، وفتح الفاء ويجوز تخفيف التاء مع الكسر، وهو كل شراب يورث الفتور والخدر فى أطراف الأصابع، وهو مقدمة الكسر.

*** ويعرف المفتر شرعًا:**

«المفتر هو الذى إذا شرب حمى الجسد وصار فيه فتور، وهو ضعف، وانكسار، ويقال: فتر الرجل - فهو مفتر - إذا ضعفت جفونه، وانكسر طرفه».

عرف الشيخ أبو سلمان الخطابى «المفتر»: كل شراب يورث الفتور والخدر فى الأطراف، وهو مقدمة السكر، نهى عن شربه؛ لئلا يكون ذريعة إلى السكر.

قال ابن رجب: «المفتر» هو استرخاء الأطراف، وصيرورتها إلى وهن وانكسار، وإن لم ينته إلى حد الإسكار، كالبنج ونحوه.

وذكر ابن الأثير فى النهاية أن الفتر هو الذى يصيب الشارب فتورًا ورخوة فى الأعضاء وخدرًا فى الأطراف، قبل السكر.

والمفترات كالمخدرات ليست محصورة، ومن المتعذر كذلك إيراد حصر كامل لها.

وسنذكر فى هذا البحث بعضًا منها على سبيل المثال، لا الحصر:

القات، والداتورة، وجوزة الطيب، والبنج (الشيكران)، والزعفران، والنتن، أو الدخان. حيث إن هذه المواد تحتوى على عناصر مفترة.

وليس المسكر والمخدر، والمفتر شيئًا واحدًا، والمشرع المصرى لا يفرق بين المخدرات، والمفترات، فقد يذكر بعض المفترات ضمن المخدرات، ولا يجد فرقًا بين المخدرات والمفترات، ويذكرها تحت اسم «المخدرات» مثل إلحاقة «القات» بالمخدرات.

والفقهاء يفرقون بين المسكرات، والمخدرات والمفترات.

يقول ابن دقيق العبد: السكران هو الذى اختل كلامه المنظوم، وانكشف سره المكتوم، ولا يعرف السماء من الأرض، ولا الطول من العرض.

إن السكر غير المخدر غير الفتر فإن الخدر : هو الضعف والثقل فى البدن، والفتر الذى يحدث الضعف والرخوة فى الأطراف.

والمفتر: هو ما يحدث الضعف، والرخوة فى الأطراف، وقد يؤدى الفتور إلى حالة التخدير، أى افتقاد قدرة الإحساس لما يدور حول الشخص المتناول لهذه المادة، أو إلى النعاس، وأحيانًا إلى النوم لاحتواء هذه المادة على جواهر مضعفة أو مسكنة أو منبهة. أو إلى حالة السكر أى غيبة العقل، وفقد الشخص لشعوره أو اختياره.

وكل مسكر مفتر، وكل مخدر مفتر، وليس كل مفتر مسكرًا، أو مخدرًا.

فالتفتير هو ابتداء التخدير أو السكر، ويعتبر ابتداء النشوة، ومدخلاً لكل منهما.

* * *

الفصل الثانى

الأضرار، والمخاطر، والعواقب

أولاً: جوانب ضرر المخدرات بالفرد

ثانيًا: جوانب ضرر المخدرات بالمجتمع

ثالثًا: أضرار المفترات بالفرد

الفصل الثانى (*)
الأضرار والمخاطر والعواقب

أولاً: أضرار المخدرات بالفرد:

نذكر بعض هذه الأضرار:

١- المخدرات لها أضرار اقتصادية؛ فتذهب بأموال شاربها سفهاً بغير علم إلى خزائن الذين صنعوها، وصدروها، وتفننوا فى سبيل الإعلان عنها، والإغراء بها.

٢ - إن الفرد الذى يقبل على المخدر يضطر إلى استقطاع جانب كبير من دخله يصرفه عليه، فتسوء أحواله المالية، ويفقد الفرد ماله الذى بذره من أجل الحصول على المخدر، ويصبح من إخوان الشياطين ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [سورة الإسراء : ٢٧].

٣ - المخدر أخبث من الخمر من جهة أنه يفسد العقل، والمزاج حتى يصير فى الرجل تخنث، ودياثة وغير ذلك من الفساد، والخمر أخبث من جهة أنها تقضى إلى المخاصمة، والمقاتلة، وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، والحشيشة داخلة فيما حرمه الله ورسوله من الخمر، والمسكر لفظًا أو معنى.

٤ - الحشيش الذى يستعمله بعض الناس للتخدير، هو عصارة القنب الهندى، وهو مخدر ومفقد للإحساس، ومضر بالجهاز العصبى ضررًا بليغًا جدًا.

ونتيجته الطبيعية الجنون بأشد حالاته، وتدخينه عادة مرن عليها بعضهم واستناموا لها استنامة لا فواق منها، وهم فى الحقيقة جانون على أنفسهم وأسرهم خباية ليس وراها جناية.

٥ - إن تعاطى المخدر يتم عن طريق التدخين «بالجوزة» وهى طريقة من شأنها نقل العدوى، لانتقالها من فم إلى آخر، ويتم التعاطى غالبًا فى مكان

(*) بقلم : د. أحمد عبده عوض.

مغلق تحقيقًا للسرية، وهذا من شأنه إفساد جو المكان، وامتلاؤه بالدخان، والمواد الغريبة ويستنشقها المتعاطون؛ مما يساعد على نقل العدوى والإضرار بصحة المتعاطين، والدخان بطريق (الجوزة) أكثر طرق التعاطى شيوعًا على انتشار العدوى بالأمراض التى تنتقل جراثيمها عن طريق الفم، والمدخنون لا يقدرون عادة تلك العواقب لانشغالهم بمزاجهم المفضل أثناء تعاطيهم للمخدر، وتفكيرهم فى إرضاء متعتهم العاجلة «فالجوزة» تساعد على نقل الأمراض المعدية، وخاصة الأمراض الصدرية «السل»، والتى كثيرًا ما يصاب بها المدخنون، ويؤدى إلى بعض الأمراض العضوية فى المعدة والكلى.

والمتعاطون بطريق الحقن يتعرضون للإصابة بخراجات فى مواضع حقنهم، كما يتعرضون لأمراض خبيثة أخرى.

٦ - فى الحشيشة مائة وعشرون مضرة دنيوية، وأخروية، وأنها تورث أكثر من ثلثمائة داءً فى البدن، كل داء لا يوجد له دواء فى هذا الزمان، فمنها تنقيص القوى، وانحراف الدماء، وتقليل الماء، وتفتيت الكبد، وتفريج الجسد، وتجفيف الرطوبات، وتضعيف اللثات، وتصفير اللون، وتحفير الأسنان، وتورث البخر فى الفم، وتولد السوداء، والجذام، والبرص، والخرص، وموت الفجأة، وتورث كثرة الخطأ والنسيان، والضجر من الناس، وتولد الأغشياء فى العيون، وتخلط العقول، وتورث الجنون، غالبًا، وتسقط المروءة، وتفسد الفكرة، وتولد الخيال الفاسد، ونسيان الحال والمال، والفراغ فى أمور الآخرة، وتنسى العبد ذكر ربه ويجعله ينشر أسرار الإخوان، وتذهب الحياء وتكثر المراء، وتنفى الفتوة والمروءة، وتكشف العورة، وتمنع الغيرة، وتتلف الكيس، وتجعله صاحبا لإبليس وتفسد العقل، وتقطع النسل، وتجلب الأمراض والأسقام مع تولد البرص والجذام، وتورث الأبنة وتولد الرعشة، وتحرك الدهشة، وتسقط شعر الأجفان، وتجفف المنى، وتظهر الداء الخفى، وتضر الأحشاء، وتبطل الأعضاء وتقوى النفس، وتهز السعلة، وتحبس البول، وتزيد الخرص، وتسهر الجنون، وتضعف

العيون، وتورث الكسل عن الصلاة وحضور الجماعات، والوقوع فى المحظورات، والوقوع فى الحرام، وأنواع الأمراض السقام.

٧ - انه لا يشك شاك، ولا يرتاب مرتاب فى أن تعاطى هذه المواد حرام لأنها تؤدى إلى مضار جسيمة، ومفاسد كثيرة، فهى تفسد العقل، وتفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار.

٨ - تعاطى المخدر ينتهى غالبًا إلى إدمانه، وإدمانه يهدد ضحاياه بأخطار فادحة، فالمخدر يتلف تدريجيًا مداركهم، وينتهى بعدد كبير منهم إلى الجنون، كما دلت على ذلك الإحصائيات، وهو يحدث أسوأ الأثر فى المستوى الخلقى لضحاياه فيتميز أغلبهم بالأثرة، وانهيار العاطفة، وعدم الإحساس بالمسئولية الاجتماعية والعائلية، وضعف الإرادة والجبن، وكراهية العمل؛ كما دلت على ذلك دراسات نفسية واجتماعية متعددة قام بها إخصائيون فى بلاد كثيرة.

وهو يهدم صحتهم حتى أن المدمن ليعرف من اضمحلال جسمه، وشحوب وجهه، وتعثر مشيته، وضعف أعصابه، وهو يستنفذ الجزء الأكبر من مواردهم فيورثهم الفاقة، ويجنى على أسرهم أبلغ جناية، وينتهى بالعدد الأكبر منهم إلى حضيض الجريمة، أو الجنون.

٩ - يتحول المدمن إلى شخص عصبى غير منتج، وغير أمين، ويصبح غير قادر على التجاوب مع وسطه، ويفقد الذاكرة، ويقل نومه، ويبدأ وزنه فى النقصان، ويصفر وجهه، ويبدو أكبر كثيراً من سنه الحقيقى، ويهزم بسرعة. أما القلب فيصبح ضعيفًا سريع الضربات، ويضطرب إفراز العرق، وتهبط درجة الحرارة عن المعدل العادى، ويجف حلقه، وتتعفن لثته، كما تكثر الشكوى من فقد الشهية، والميل للقىء والإمساك أو الإسهال، وهذه الأعراض تشير إلى ما أصاب كبده من ضرر نتيجة تعاطيه هذه السموم.

والمخدرات تضعف مناعة الجسم، وتقلل من قدرته على مقاومة الأمراض، ومتى انحطت القوى العقلية، والقوى الجسمانية أهمل المدمن عمله، وعجز عن

القيام به فيهجر زوجته وأولاده وعائلته، ويسلبهم ما يملكون لبيعه بأبخس الأثمان لشراء السموم الفتاكة ثم يعمد إلى الكذب، والسرقة، والاحتيال، وارتكاب كل موبقة يستطيع ارتكابها.

١٠ ـ الحشيشة تذهب بنخوة الرجال، وبالمعانى الفاضلة فى الإنسان، وتجعله غير واف إذا عاهد، وغير أمين إذا أوتمن، وغير صادق إذا حدث، وتميت فى الإنسان الشعور بالمسئوليات، والشعور بالكرامات وتملؤه رعبًا ودناءة، وخيانة لنفسه، ولمن يعاشر وبذلك يصبح عضواً فاسدًا موبوءًا فى المجتمع.

١١ – مزايا المخدرات مزعومة – إذ يزعم المدمن أن المخدرات تهيىء له متعًا ثلاث:

(أ) إفاضة نوع من الراحة فى جسمه المتعب أو أعصابه المرهفة أوذهنه المكدود، وهذا مجرد وهم، فواقع الأمر أنها تؤثر على مراكز الحس، والتفكير فيفقد الفرد كل شعور بما هو فيه فقدان مؤقت لا يستغرق إلا وقتًا عابرًا، ثم تعود حالته إلى ما كانت عليه مضافًا إليها الإرهاق، والتعب الذى خلقته هذه المخدرات فى جسمه الضعيف.

(ب) خلق جو من السعادة والهناءة، وهذا بدوره خداع شرير، فالمسألة أن هذه المخدرات تؤثر على وعى الفرد فيعيش متعاطيها فى أحلام كاذبة تزول مع زوال المخدر وتعقبها الحسرة، والألم واللوم على ما أنفق من مال، وما أضاع من وقت، كان يمكن الاستفادة منه فى تحسين حالته.

(ج) تمنحه قوة جنسية، والحقائق تكذب هذا الإدعاء، إذ أن الفرد وهو تحت تأثير المخدر لا يحسن تقدير الوقت، مما تخيل له أنه أمضى وقتًا أطول فى العملية، كما أنه يكون متلبدًا فاقدًا للشعور والحساسية.

وما جدوى طول الوقت إذا لم يصاحبه شعور بالتمتع، وإحساس بالهناء؟ هذا إلى أن الإدمان يؤدى فى هذه الناحية إلى رد فعل سريع يسبب الضعف العاجل، ثم العجز الكامل فى المسألة الجنسية.

١٢ - إن أهم ما تحدثه المخدرات من اضطرابات فى الوظائف العقلية العليا فى توفر الطاقة اللازمة لاستخدام هذه الوظائف، يمثل العائق الأساسى الذى يعترض قدرة الإنسان على العمل فى مجتمع الصناعة، ومجتمع الإنتاجية العالية الذى يحتاج إلى جميع طاقات وقدرات الشباب الخلاقة، وكذلك لا يقتصرتأثير المخدرات على القدرات والمهارات بل إن تدهور هذه القدرات والمهارات، ولا يلبث أن ينعكس على بقية جوانب البناء النفسى للفرد بما فى ذلك ثقته فى ذاته وشعوره بالأمن، وموقفه من الآخرين.

١٣ - الإدمان يجعل حال المدمن كحال المريض مرضًا عقليًا، ولقد أوصت لجنة خبراء الصحة العالمية الخاصة بالإدمان فى تقريرها الحادى عشر والخاص بالحجز المدنى للمدمنين ، وتقرير حالتهم، واتخاذ الإجراءات بشأنهم، كشأن مرضى الأمراض العقلية، واعتبرت هذا بمثابة خطوة تقدمية واضحة عن طريق معالجة المشكل، والجدير بالملاحظة أن الغرض من الحجز المدنى هو التأكد من توفير العلاج الكامل، والمناسب للحالة، وليس فرض عقبات لمخالفة القانون أو تلمس الأعذار للخروج عنه.

١٤ - الآثار المباشرة للتخدير بالمخدرات: يقول التقرير الصادر عن لجنة المخدرات الخطرة بالولايات المتحدة الأمريكية: إن الآثار البدنية التى تحدث للغالبية من المتعاطين، والتى تظهر بعد حوالى ساعة من بدء التخدير، تتلخص فى الأعراض التالية:

ارتعاشات عضلية، زيادة فى ضربات القلب، سرعة فى النبض، شعور بسخونة فى الرأس، دوار، برودة فى الأطراف، شعور بضغط وانقباض فى الصدر، اتساع فى العيون، تقلص عضلى، قىء فى بعض الحالات.

ويضيف التقرير بأن هذه الاستجابات قد تزيد فى شدتها تبعًا للحالة، ثم تنتهى بالنوم.

ويتفق «بوكيه» وهو من المهتمين فى دراسة هذا الموضوع فى نتائج دراساته مع نتائج التقرير السابق فى بعض الآثار، ويزيد عليها أعراضًا وآثارًا أخرى، وإن كان يفرق بين آثار التخدير الناشئة عن التعاطى عن طريق أكل المخدر مباشرة.

وخلاصة نتائج «بوكيه» تتمثل فيما يلى:

جفاف بالفم مع التهاب فى الحلق قد يحدث سعالاً واتساعًا واحمرارًا فى العيون، برودة فى الأطراف تزيد فى حالة التعاطى عن طريق الأكل، عدم توازن، وتآزر حركى فى الجلوس والمشى، والإحساس بلفحات باردة وساخنة على الوجه، تقلصات عضلية، دوار ودوى بالأذن، إحساسات جسمية خاطئة، غثيان وقىء أحيانًا، انخفاض ضغط الدم، سرعة وزيادة فى النبض.

وتتفق هذه النتائج مع النتائج التى وصل إليها «وولف» من دراساته على المتعاطين فى بعض بلدان أمريكا اللاتينية، وخاصة فيما يتعلق بالأعراض أو الآثار التالية:

انخفاض ضغط الدم، إحمرار العيون واحتقانها، برودة الأطراف، عدم التوازن أو التآزر العضلى مع ضعف الحركة، جفاف الفم، سرعة فى النبض، الإحساسات الجسمية الخاطئة أو الوهمية كالشعور بطول الأطراف، والشعور بتراخى الجسم مع الرغبة فى القىء.

١٥ - الآثار النفسية والعقلية لتعاطى المخدرات:

(أ) اضطراب الإدراك الحسى والتذكر والتفكير.

(ب) اضطراب الوجدان.

(جـ) انخفاض المستوى الذهنى والكفاية العقلية.

(د) الخمول والبلادة، والإهمال، وعدم الاكتراث مع سلبية وتدهور فى مستوى الطموح.

(هـ) الانطواء الاجتماعى والانهباط.

(و) تدهور فى الكفاية الإنتاجية.

١٦ - آثار خطيرة للأفيون: ومع ذلك فهناك آثار عامة مشتركة، لوحظت على أغلب المتعاطين، ومتفق عليها فى كافة الدراسات العلمية الخاصة بهذا المخدر الخطر.

ويلخص (فوجل وأزابل) هذه الآثار العامة المشتركة فيما يلى:

١ - فى بداية التعاطى وبكمية صغيرة من الأفيون يشعر بعض المتعاطين بشىء من الدوار، والنعاس، والقىء، والغثيان.

٢ - شعور بالاسترخاء الداخلى، مع شعور بالنشوة، والراحة العامة التى تعم الجسم كله، التى تنتهى بالرغبة فى النوم العميق الذى يخلو من الأحلام.

٣ - يقلل من الدفع نحو الحركة البدنية، والنشاط الفسيولوجى، ونشاط الكائن الحى بوجه عام.

٤ - تأثيره الرئيسى يتضمن حالة انهباط عام للجهاز العصبى المركزى - فيما عدا حاستى السمع والشم اللتين لا تتأثران؛ كما تقول مارى نسواندر.

وكذلك تحدث تغييرات دورية فى أوعية المخ، من حيث الاحتقان والزيادة فى خلايا الأوعية، نتيجة انسداد المجرى.

٥ - يؤثر تعاطى الأفيون على الكبد من حيث تحلل خلاياه وتليفها، وزيادة السكر فى الكبد، مما يؤثر فى نشاطه ووظائفه.

٦ - كما يؤثر تأثيرًا ضارًا على المعدة، والأمعاء، والطحال، والبنكرياس، حيث تقل الإفرازات، والعصائر المعدية، والمعوية، كما تقل حركة المعدة، وتتقلص وتنكمش عضلاتها، ونتيجة لذلك تقل الشهية لدى المدمنين، كما يحدث الإمساك المزمن.

٧ - إن تغيرات واضحة تحدث فى النشاط الجنسى خلال الإدمان وأبرزها النقص فى الطاقة الجنسية، ونقص إفرازات الغدد الجنسية، وفى النساء يقل أو يكاد يتوقف الطمث، ويضعف المبيض، ويندر الحمل.

٨ - الأفيون يؤدى إلى الإدمان وبالتالى إلى مزيد من الخطورة والضرر، وأهم السمات التى يتركها إدمان الأفيون فى شخصية المدمنين:

العصبية، والحساسية الشديدة، والتوتر الانفعالى، سوء الخلق وعدم الاكتراث، والإهمال، وانخفاض مستوى الإنتاج، وضعف القدرة على التوافق الاجتماعى، والتدهور الاقتصادى الذى ينتهى بالكثير من المدمنين إلى التعطل، والبطالة والطفيلية، والانزلاق فى مهاوى الجريمة كالنصب والاحتيال، والسرقة أو خيانة الأمانة - إذا حالت ظروف المدمن دون الحصول على المخدر - هذا فضلاً عن انزلاق الكثير من المدمنين، وبخاصة أبناء الطبقات الفقيرة فى تجارة المخدرات وتوزيعها بغرض التعيّش من ناحية، وتوفير الحاجة للمخدر من ناحية أخرى.

٧ - الخشخاش وهو النبات المعروف بأبى النوم، وهو نبات شديد التخدير، ومن يتعود عليه يفضى تركه إلى موته، وهو من السموم وله مركبات مختلفة وقد ذكره ابن البيطار فى مفرداته.

• • •

ثانياً: أضرار المخدرات بالمجتمع:

لم يعرف العرب المخدرات فى الجاهلية، ولم تذكر فى أشعارهم وأدبهم مثل الخمر، ولم تدخل زراعتها الجزيرة العربية.

وكانت أول مرة تدخل فيها المخدرات إلى العالم العربى على أيدى الفرس.

ولم تكن الحشيشة معروفة فى الشام إلى أن قدمها سلطان بغداد فارًا من تيمورلنك والمغول، وإنما لم يتكلم المتقدمون فى خصوصها لأنه إنما حدث أكلها من قريب أو فى أواخر المائة السادسة أو قريبًا من ذلك.

ونذكر بعض أضرارها بالمجتمع ككل:

١ - تعتبر المخدرات من السموم الفتاكة التى لم تتورع بعض الدول عن استخدامها؛ لكسر شوكة الشعوب، وتهديد مقوماتها، وتقويض كيانها الداخلى.

وقد تلجأ دولة إلى استخدام هذا السلاح الفتاك للنيل من الدولة التى تحاربها، وقد لجأت اليابان إلى سلاح المخدرات فى غزوها للصين - التى يتجاوز عدد سكانها خمسة أضعاف عدد سكان اليابان - قبيل الحرب العالمية الماضية؛ إذ عملت على نشر المخدرات فى الأراضى التى احتلتها وتهريبها إلى الأراضى التى لم تحتلها بعد؛ مستهدفة بذلك القضاء على حجة النضال وروح المقاومة فى أبنائها بأقل جهد، وأخطر سلاح.

وقد خصصت اليابان جانبًا من ميزانيتها لإقامة مصانع لاستخراج مشتقات الأفيون؛ الأكيد فتكًا، مثل: (المورفين) و(الهوروين) و(الكوكايين) وأباحت تعاطى المخدرات التى حرمتها فى بلادها، فانتشرت حوانيتها فى كافة المدن والقرى، وبينما قدر عدد مرضى إدمان المخدرات فى مقاطعات الصين الشمالية الأربع فى سنة (١٩٣٦م) بحوالى نصف مليون وصل هذا الرقم إلى حوالى الثلاثة عشر مليونًا فى سنة (١٩٣٩م).

وقد أهاجت تلك الحقيقة المؤلمة ثائرة الرأى العام العالمى. وعرض الأمر على عصبة الأمم التى دفعت اليابان بتلك الوصمة فى الاجتماع الذى حضره ممثلو سبع وعشرين دولة فى سنة (١٩٣٨م).

٢ - تعاطى المخدرات وآثارها الاجتماعية والاقتصادية تتمثل فى الآتى:

(أ) آثار ضارة على كم، وكيف الإنتاج الفردى للمتعاطى.

(ب) آثار ضارة على الإنتاج الاجتماعى بصفة عامة، وعلى برامج التنمية، وخاصة فى الدول المختلفة؛ تتمثل فى فقدان الطاقة الإنتاجية البشرية للمتعاطين وأسرهم، والمشتغلين بالمكافحة والعلاج.. إلخ.

وعصبيًا وخلقيًا، وشغل المتجرين بها عن امتهان عمل نافع، فلا شك أن المجتمع يخسر كثيرًا بفقد أعضائه الذين يزج بهم فى السجون من آن لآخر، ويتحمل كثيرًا من الأعباء المالية التى تتطلبها نفقات إيوائهم وتغذيتهم وعلاجهم.

٤ ـ المخدرات تفكك الروابط الأسرية والاجتماعية وأفراد الأسرة يتعرضون للسلوك المنحرف، وارتكاب شتى الجرائم، وآثار المخدرات خطيرة وضارة على الأسرة من الناحية الاجتماعية، والاقتصادية، وتنعكس على المجتمع بأسره، وآثار غير مباشرة تتمثل فى السلوك الإجرامى والانحرافى، والدول فى حاجة إلى طاقات أبنائها، وتعاطى المخدرات من شأنه أن يزيد من الانصراف عن الواقع، وينقص من القدرة على بذل الجهد، ويستنفذ القدر الأكبر من الطاقة.

وتزداد الخطورة بقدر ما يتزايد المتعاطون على المخدرات، وفى ذلك تأثير على أهداف التنمية فى الدولة، ويمثل حائلاً يحول دون بلوغ الغاية المنشودة فى التقدم، والحياة، فالمخدرات عامل هدم فى كيان الوطن والأسرة.

وهى تؤدى إلى ضعف فى جهاز الإنتاج القومى؛ نتيجة لضعف مجهود الأفراد، وعدم قدرتهم على الإنتاج، ويسبب ما يصرف من نفقات طائلة لمكافحة التهريب وهى وسيلة لهدم كيان الأسرة وزعزعة استقرارها وتفككها وانحلالها.

إن المجتمع القوى هو الذى يضم أفراد أقوياء فى أجسامهم وفى عقولهم، ويطلب المناعة دائما لنفسه ولأفراده من أن ينحرف فيه أى فرد إلى ما يحطم كيانه، ويهدف إلى إضعافه، ولا شك أن انحراف أى فرد فى المجتمع، وسلوكه طريق ما من شأنه أن يحطم به نفسه، ويحطم به عمله، بل ويحطم به عقله وخلقه، ومستقبله؛ لدليل على تهاون المجتمع إزاء هذا العضو الذى إذا ما تداعى تداعى معه المجتمع بطبيعة الحال، وكان ذلك من أقوى العوامل على إضعاف الوطن، وأن أشد ما يفتك بكيان المجتمع فتكًا لفرد جسمه وعقله وخلقه «المخدرات» العدو اللدود الذى يجب محاربته، ومحاربة من يتناوله ومعاقبته وتوجيهه بكل وسيلة تحول بينه وبين هذه السموم الفتاكة.

٥ - المخدرات لها أضرار تصيب الأمن القومى؛ نتيجة لتعاطيها والإتجار فيها وتهريبها، يتضح أن هذه المواد ما هى إلا سلاح فى يد الأعداء، لا يقل فتكًا أو تدميرًا عن أى سلاح حديث عرفته الحروب المعاصرة، ويزيد من خطورة المواد المخدرة أنها تمثل سلاحًا غير مشهر، فهى بذلك تظل خفية فى الظلام، تنفث سمها فى أبدان ضحاياها دون أن تبرق فترى أو تنفجر فتسمع ثم هى بعد ذلك سلاح لا يصيب المحاربين وحدهم بل يتعداهم إلى الأميين، بل أنها فوق ذلك لا تقتل فقط من تصيبه، وإنما تقتل أيضًا من يأتى بعده من جيل الأبرياء.

ونذكر أضرار المخدرات فى مبحثين:

المبحث الثالث: أضرار المفترات بالفرد.

المبحث الرابع: أضرار المفترات بالمجتمع.

• • •

ثالثًا: أضرار المفترات بالفرد:

١ - القات يولد الفكر، ويسبب الخمول والكسل فى الجسم، والقلق النفسى.

فالقات له أضرار صحية واجتماعية واقتصادية، وقد أصدرت لجنة خبراء منظمة الصحة العالمية تقريرًا جاء فيه: أن اللجنة أدركت أن التعود على مضغ القات، أدى فى بعض المناطق إلى ظواهر اجتماعية، واقتصادية معوقة للفرد، والمجتمع، من ضياع ساعات العمل وضياع الدخول، وسوء التغذية، وتفشى الأمراض.

والقات فيه ضياع المال، وذهاب الأوقات، فضياع المال يتمثل فى شراء القات وذهاب الأوقات سدى، حيث يأخذ المتعاطى القات بعد الظهر، ويقعد عليه إلى بعد العشاء، أو إلى أن يذهب من الليل أكثره، ويفعل ذلك كل يوم، ولا يكسب من وقته سوى الخسران والهذيان، الذى يأتى به آكل القات.

٢ - البنج قد يؤدى إلى التخدير، أو إلى الإسكار، ويورث الوهن، والضعف، والانكسار لأطراف الإنسان، ويورث الخيال، ويذهب بالمال.

يقول صاحب الدر المختار: ويحرم أكل البنج لأنه مفسد للعقل، ويصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، وأن من أكثر منه أخرجه إلى حد الرعونة، وقد استعمله قوم؛ فاختلت عقولهم.

٣ - الداتـورة من النباتـات السـامة والمفترة، وقد تؤدى إلى قتل متعاطيها، إذ أن الداتورة تنتمى إلى العائلة الباذنجانية المشهورة بنباتاتها السامة، وتبدأ أعراض التسمم فى الإنسان بعد دقائق من تعاطى بذورها، والأعراض تتمثل فى جفاف الحلق وزيادة العطش، الذى لا يزول بشرب الماء، ويتبع ذلك إغماء وعدم وعى، وتتسع حدقة العين، كما يحدث «التشنج» وينتهى فى كثير من الحالات بالوفاة.

٤ - جوزة الطيب، ويسمى «الجوز المسقىء» وإذا أخذت كميات كبيرة منه أحدثت تقلصات عنيفة، قد تشمل الجهاز التنفسى، وقد تسبب الاختناق والموت.

٥ - شرب الدخان يؤدى إلى حالة الفتور أى إلى استرخاء الأطراف، وصيرورتها إلى وهن وانكسار.

• • •

الفصل الثالث

المخدرات والإدمان من المنظور الطبي

أولاً : ظاهرة الاعتماد

ثانيًا: مضاعفات الانقطاع الفجائي عند أخذ المخدر

ثالثا: التعرف على مفهوم ومصطلحات ومواد الإدمان من الجانب الطبي

رابعا: نبذة عن الأضرار الصحية لإدمان الأفيون والمورفين والهيروين

خامسا: الوقاية المبكرة من إدمان المخدرات

الفصل الثالث
المخدرات والإدمان من المنظور الطبى(*)

يستخدم فى الطب لفظ المخدرات Narcotics فى حالة استعمال الأفيون ومشتقاته مثل المورفين وبدائله المصنعة مثل البثيدين وغيره، وهى أكثر ما تستعمل لتخفيف أو إزالة الألم فى الأغراض الطبية، ولذلك يجب أن تستعمل بحذر إذا تكرر إعطاؤها للمريض، وقد تكون هذه المخدرات أدوية تسبب اعتمادًا للجسم ولنفس الإنسان الذى يتعاطاها ويعتمد عليها، فهى تسمى العقاقير المسببة للاعتماد Drug Dependenc .

وقد يسمى الاستعمال خارج النطاق الطبى الرسمى سوء استعمال العقاقير Drug Abuse، وقد يؤدى هذا الاستعمال إلى الاعتماد النفسى أو الجسدى أو كليهما معًا. وظاهرة الاعتماد هذه سواء أكان اعتمادًا نفسيًا أم جسديًا هى ما تعارف الناس عليه بلفظ الإدمان.

أولاً: ظاهرة الاعتماد:

* الاعتماد النفسى على العقاقير المخدرة:

يسبب تناول عقار معين اعتمادًا نفسيًا إذا أوجد هذا العقار لدى المتعاطى رغبة نفسية قوية للاستمرار فى تعاطى هذا العقار إلى درجة قد تصل إلى درجة القهر، بحيث تفرض على المتعاطى البحث عن العقار، قبل البحث عن الطعام، أو أى مطلب آخر.

وهذا الاعتماد النفسى قد لا يكون مصحوبًا بأى اعتماد جسدى بحيث لو ترك الشخص المتعاطى هذا العقار فجأة لا تظهر عليه آثار بدنية حادة مثل الإسهال، أو الصرع (التشنج) مثلما يحدث فى العقاقير التى تسبب الاعتماد الجسدى.

(*) بقلم : أ.د. حسنى محمد الرودى.

وتتمثل أعراض الاعتماد النفسى عند افتقاد المتعاطى للعقار فى القلق، والتوتر، والكآبة، وشراسة الطبع، وعدم القدرة على التركيز، وقد تسبب أرقًا أو صداعًا شديدًا، ونادرًا ما يصحب ذلك رعشة خفيفة فى اليدين، ومن أشهر العقاقير التى تسبب اعتمادًا نفسيًا: النيكوتين فى التبغ (بالسجائر وبغيرها)، والحشيش (الماريوانا)، وجوزة الطيب، وعقار الأمفيتامين (اسمه التجارى ريتالين)، والكوكايين، والقات (الذى يسبب اعتمادًا نفسيًا خفيفًا)، والكافيين الموجود فى القهوة والشاى، والبيبسى كولا، والكوكاكولا وأشباههما اعتمادًا نفسيًا خفيفًا، وقد يؤدى ترك الشاى أو القهوة إلى توتر وقلق لدى بعض الناس، وكثير من الناس يعانون من صداع لفترة يوم أو يومين عند ترك الشاى أو القهوة، وهذا الأثر خفيف سرعان ما يزول دون أن يؤدى إلى أضرار صحية.

• الاعتماد الجسدى على العقاقير المخدرة:

لا شك أن الاعتماد الجسدى هو أشد خطورة من الاعتماد النفسى، وذلك أن الامتناع عن تناول العقار المعين (Abstinence) يؤدى إلى أعراض جسدية خطيرة قد تؤدى إلى وفاة الشخص المتعاطى للعقار، وتسمى علامات الامتناع، وقد تسمى أيضًا علامات سحب العقار(Withdrawal Symptoms)، ومن أشهر العقاقير التى تسبب الاعتماد الجسدى الأفيون.ومشتقاته مثل المورفين، والهيروين، وكذلك الخمور (الكحول)، وبعض المنومات مثل مركبات الباربيتيورات.

• أسباب ظاهرة الاعتماد (الإدمان) الجسدى:

ترتبط هذه الظاهرة بظاهرة دوائية فى علم الأدوية (المسمى علم الأقرباذين) تعرف بظاهرة التحمل Tolerance التى تحدث نتيجة أحد عاملين:

١- التأثير الاستقلابى[1] لتحمل العقار (Metabolic Drug Tolerance)، وسببه أن الجسم يقوم بتحطيم العقار المتعاطى بسرعة متزايدة بسبب نشاط فائق للخمائر (الإنزيمات) التى تقوم بتحطيم هذا العقار فى الجسم، وخاصة فى الكبد.

(١) الاستقلاب فى الجسم يعرف أيضاً بعملية الأيض، أو البناء والهدم، أو الميتابوليزم.

٢- التحمل الخلوى أو الدوائى للعقار (Drug Tolerance)، وسبب هذا التحمل الخلوى أن الخلايا العصبية، والتى هى محط تأثير العقار تتعود على الكمية المعطاة من العقار المعين فلا تعود تؤثر فيها التأثير السابق، مما يستدعى المتعاطى أحيانًا أن يزيد من كمية الجرعة، أو الجرعات المتعاطاة من العقار، وهكذا حتى تصل إلى كمية كبيرة قد تبلغ أضعاف الكمية القاتلة لغيره، وقد تؤدى نسبة واحد بالمائة من هذه الكمية الكبيرة إلى وفاة الشخص مباشرة إذا لم تكن لديه ظاهرة التحمل.

والغريب أن التحمل يختفى إذا تمكن الشخص من التوقف عن العقار لبضعة أسابيع، ولهذا فإن الشخص المدمن إذا عاود تناول العقار بالكميات السابقة؛ فإنه يتعرض لهلاك محقق.

وإذا حدث تحمل لأحد مشتقات الأفيون فإن التحمل يحدث عادة لجميع مشتقات الأفيون الأخرى، طالما أن خصائصها الأفيونية باقية وتعرف هذه الظاهرة باسم **التحمل العابر أو التحمل المتصالب Cross Tolerance**، وفى هذه الحالة يعبر التحمل من المادة إلى مادة أخرى مشابهة فى الأصل، ومختلفة فى التفاصيل والفروع.

• يمكن تقسيم المواد المخدرة (العقاقير المسببة للاعتماد) إلى:

١- **مجموعة مخففات الألم**، وهى مجموعة الأفيون ومشتقاته مثل المورفين، والهيروين، والبثيدين، والميثادون، وغيرها، والكوكايين، والثيبايين، والفينانيل، والإيثوفيين.

٢- **مجموعة مُهبطات أو مثبطات الجهاز العصبى المركزى**، وتشمل المنومات مثل: الباربيتيوات بأنواعها المختلفة، ومركب بنزوديازيين (الفاليوم والليبريوم والأثيفان والفريزيوم وغيرها)، والميثاكولون، والخمور (الكحول).

٣- **منبهات الجهاز العصبى**، وتشمل الكوكايين والأمفيتامين (الرتالين) ومشتقاته، والقات.

٤- **التبغ** (التمباك) والنيكوتين.

٥- **المهلوسات** مثل الحشيش (القنب - الماريوانا)، وعقار الهلوسة ل.س.د. L.S.D.، ونوع من نبات الصبار.

٦- **الغازات والمواد المستنشقة** مثل: الغراء، ومزيل الطلاء (البوية)، والبترول (البنزين).

• طرق تعاطى المدمنين للعقاقير:

قد تبدأ العادة بتدخين الأفيون المخلوط مع التبغ (التمباك) فى النرجيلة (الشيشة أو الجوزة) أو الغليون (البايب) أو السيجارة، وقد تحتوى السيجارة أو النرجيلة على التبغ (التمباك) والأفيون والحشيش، ويقوم المدمن باستنشاق الخليط، أو شفطه.

كما قد يقوم المدمن بوضع الهيروين على قصدير يسخن من أسفل، فيتطاير الهيروين ويلاحقه المدمن شمًا، وتسمى هذه الطريقة مطاردة التنين، كما يمكن للمدمن أيضًا شم مسحوق الهيروين مباشرة، وأخطر هذه الوسائل جميعًا هو حقن الهيروين بالوريد.. وفى كثير من الأحيان يكون تناول الهيروين مظهر من مظاهر متعددة لشباب يتعاطون مجموعة مختلفة من العقاقير، إما فى آن واحد أو أنواعا تلو الأخرى، فنجد هؤلاء يستخدمون الخمور، والمورفين، والهيروين، والأمفيتامين، والكوكايين والمنومات (مثل الباربيتيورات) وغيرها. وبالإضافة قد يقوم البعض باستنشاق الغراء، ومزيل الطلاء (البوية)، والبترول (البنزين)!!

* * *

ثانيًا: مضاعفات الانقطاع الفجائى عند أخذ المخدر: Abstinence

(نوبات سحب العقار) Withdrawal Symptoms

ترتبط هذه المضاعفات والنوبات بمجموعة من المخدرات أهمها الأفيون، والمورفين، والهيروين، والمنومات (الباربيتيورات)، والخمر (الكحول).

ورغم أن ظاهرة سحب العقار فى الكحول والباربييورات قد تكون أشد خطورة من سحب عقارات الأفيونات إلا أن العذاب والبؤس قد يكون أشد فى حالات سحب الهيروين على وجه الخصوص.

لا يمضى على مدمن الهيروين أو المورفين سوى بضع ساعات من انقطاع العقار عنه حتى يشعر بقلق شديد، ويأخذ فى التثاؤب، وتسيل دموعه لا إراديًا، ويزداد إفراز أنفه، وإفراز عرقه رغم أن الجو قد يكون باردًا، ويكثر العطس، والحكة فى الأنف، كما يكثر إفراز اللعاب بطريقة مزرية.

وإذا لم يعثر المدمن على جرعته من الهيروين والمورفين يشعر بالتعب والإرهاق فيدخل فى مرحلة من النوم القلق الذى تصحبه «الكوابيس»، والأحلام المزعجة.

وعندما يصحو يتملكه خوف شديد، ورعب وقلق مع نوبات من الإحساس بالبرد تتناوب مع نوبات إحساس بالحرارة، ويكون الجلد محببا مثل جلد الأوزة، وتتسع حدقة العين، وتحدث آلام شديدة فى الساقين والقدمين مع رغبة عارمة فى تحريكهما بشدة، ويتبع ذلك نوبات شديدة من القئ والإسهال، ويفقد المصاب كل رغبة فى تناول الطعام.

كما قد يحدث له أكثر من ذلك إذا استمرت الحالة دون إعطائه جرعة من الهيروين أو المورفين أو البديل لهما حيث يحدث له جفاف بالأنسجة؛ نتيجة تواصل فقد السوائل من الجسم والقئ والإسهال، والعرق واللعاب، وإفراز الأنف والدموع، كما يحدث له وهن شديد، وضعف مع ازدياد حالة الرعب النفسية، مع القلق الشديد، وارتعاش واختلاج فى العضلات، وخاصة فى اللسان، واليدين والقدمين.

ثم قد يضطرب وعيه، ويكون ذلك مصحوبًا بارتفاع شديد فى درجة الحرارة، وقد تحدث التهابات كثيرة فى الجهاز التنفسى والعصبى نتيجة انخفاض مستوى مقاومة الجسم، ولتفسير أعراض هذا الامتناع أو السحب للعقار نذكر أن

لدى الإنسان مجموعة من المورفينات الدماغية والجسدية الطبيعية (أى الموجودة طبيعيًا فى الجسم) فإن تناول المورفينات الخارجية الاصطناعية (مثل المورفين والهيروين أومشتقاتهما) فإنها تؤدى إلى تقليل إفراز المورفينات الطبيعية بالجسم والدماغ، وهذه المورفينات الطبيعية لها تأثير منبه على إفراز الهرمون المنمى للغدة الكظرية (الغدة فوق الكلوية). ، ويفرز هذا الهرمون فى الغدة النخامية بالدماغ، ويترتب على ذلك حدوث رد فعل عنيف من الجسم، وتنعكس كل الآثار الأقرباذينية (الدوائية) التى يحدثها الهيروين أو المورفين أى يحدث عكس ما تحدثه فى حالة تعاطيها، وعدم منعها أو سحبها، وبذلك يمكن تفسير لماذا تتسع حدقة العين بدلاً من انقباضها، وتزيد الإفرازات بدلاً من أن تقل، ويزيد السعال (الكحة) بدلاً من أن يقل، ويزيد إفراز الشعيبات الهوائية التنفسية بدلاً من أن تقل. . . وهكذا.

ودرجة تحمل المدمن لصدمة سحب العقار تتوقف إلى حد ما على ظروفه الاجتماعية، وعلى درجة حالته الروحية، وعلى توفر عقار الإدمان.

ولكن هناك كثير من المدمنين يشعرون بفراغ رهيب بعد تركهم الإدمان، والسبب هو الخواء الروحى الذى يعيشونه، وعدم ثبات الإيمان، وقلق النفس الأمارة بالسوء، وعدم القدرة على مواجهة الحياة ومشكلاتها، وأحيانًا عدم رغبة أصحاب الأعمال فى إسناد وظيفة أو مهمة أو حرفة لمدمن سابق من المحتمل أن يعود إلى إدمانه، وقد يرتكب جريمة ما أثناء ذلك.

وعلى ذلك فإن كثيرًا من المدمنين يعودون مرة أخرى للإدمان، أو يهرعون إلى الانتحار؛ للتخلص من هذه الحياة البائسة.

* * *

ثالثا: التعرف على مفهوم ومصطلحات ومواد الإدمان:

ما الإدمان؟ هو اعتماد شخص ما على عقار معين أو أكثر، اعتمادًا قد يكون للجسد، أو النفس، أو كليهما بحيث لو توقف عن هذا العقار، أو سحب منه

بطريقة غير علمية، وغير طبيعية انتابته أعراض وأمراض قد تكون خطيرة، وقد تودى بحياته.

ما المواد التى قد تؤدى إلى الإدمان؟

يمكن تقسيم هذه المواد إلى الآتى:

أولاً: مجموعة مخففات الألم (الأفيون ومشتقاته):

• الأفيون:

ويحتوى الأفيون الذى يستخرج من شجرة الخشخاش غير الناضجة بتشريطها فيخرج منهما عصير أبيض لزج، سرعان ما يعتم لونه عند تعرضه للهواء..

ويحتوى الأفيون على مجموعة كبيرة من مركبات تسمى قلويدات Alkaloids ولكن معظم هذه المركبات ليست لها تأثيرات فعالة على الإنسان، ويمكن تقسيم المواد الموجودة فى الأفيون، والتى تؤدى إلى الإدمان (دون ذكر المجموعات الأخرى التى لا تسبب إدمانًا أو المجموعات الأقل استعمالاً وشيوعًا) إلى ما يأتى:

قسم الفينانثرين ويحتوى على المواد الآتية:

١- المورفين: وهو المادة الفعالة الموجودة فى الأفيون، ويعتبر أقوى مسكن للألم عرفه الإنسان حتى الآن، ويشكل المورفين نسبة ١٠٪ عشرة بالمائة من وزن الأفيون الخام.

٢- الكودايين: وهو أضعف من المورفين بنسبة ١ : ١٠، ويستخدم لتسكين السعال؛ حيث إنه أقوى من المورفين فى هذا الصدد، وأقل تسببًا للاعتماد عليه كدواء.

ويحتوى الأفيون الخام على نصف إلى واحد بالمائة من وزنه من الكودايين.

• عقار الهيروين:

وهو محضر صناعيًا وأقوى من الأفيون بثلاثين مرة، وتأتى خطورته من أنه يسبب الإدمان بعد فترة قصيرة من استعماله، ربما بعد حقنتين أو ثلاث حقن.

• طرق تعاطى الأفيون والمورفين والهيروين:

يتعاطى الأفيون منذ القدم عن طريق الفم: إما على هيئة قطع صغيرة أو تذاب هذه القطع وتشرب، كما يمكن أن تصنع على هيئة حبوب تبلغ. وقد يلجأ البعض إلى طريق التعاطى بالتدخين كما حدث فى الصين أما المورفين؛ فيتعاطى أساسًا عن طريق الحقن (الزرق) تحت الجلد أو فى العضلات أو فى الأوردة، ونفس الطرق بالنسبة للهيروين، ولكنه يؤخذ أيضًا عن طريق الفم، وكذلك بواسطة التدخين أو الشم.

* * *

رابعاً: نبذة عن الأضرار الصحية لإدمان الأفيون والمورفين والهيروين:

أولاً: الإنتانات Infections:

وتحدث نتيجة للأسباب الآتية:

(أ) استخدام محاقن ملوثة غير معقمة قد يشترك فيها العديد من المدمنين.

(ب) وجود مواد مغشوشة فى الهيروين ابتداء من السكر، والدقيق، وانتهاء بمادة الأستركنين ومادة الكينين، وجميعها مواد غير معقمة.

(ج) ضعف الجهاز المناعى بالجسد بسبب تعاطى المخدرات، التى تؤثر تأثيراً سلبيًا على هذا الجهاز المهم المقاوم للميكروبات المختلفة التى يسهل عليها آنئذ أن تغزو الجسم.

(د) إن مدمن المخدرات غالبًا لا يعنى بطعامه، ويفقد شهيته ويعانى من عسر الهضم، وسوء الامتصاص، وتكرار القئ، ويؤدى ذلك إلى نقص المواد الغذائية الهامة والفيتامينات مما يؤدى إلى نقص المناعة، وضعف المناعة والمقاومة.

(هـ) غالبًا ما يكون المدمن مدخنًا مسرفًا؛ مما يؤدى إلى ضعف أجهزة الجسم عامة، والجهاز التنفسى خاصة.

(و) قد يصاب مدمنى المخدرات بنوبات إغماء أو غيبوبة متكررة، وقد يحدث قئ أثناء هذه النوبات؛ فتنساب مواد القئ إلى الرئتين أثناء نوبات اللاوعى؛ مما يؤدى إلى التهابات رئوية خطيرة Inhalation Pneumonia .

• أهم الأمراض الانتانية التى تنتشر لدى مدمنى الهيروين:

١- مرض فقدان المناعة المكتسب (الإيدز) AIDS :

الذى ينتشر بصفة خاصة بين الشاذين جنسيًا، ومدمنى المخدرات، ويسبب ضمن ما يسبب إنتانات انتهازية، وإنتانات طفيلية، وفطريات، وأنواع غريبة من ميكروب الدرن (السل) لا تستجيب للعلاج التقليدى للدرن، وكذلك إنتانات بمختلف أنواع البكتريا والفيروسات.

وبما أن جهاز المقاومة يضعف فإن الأورام الخبيثة تكون أكثر حدوثًا للمريض عن غيره من المرضى والأشخاص، وخاصة ما يسمى مرض «كابوسى Caposi».

٢- التهاب الكبد الفيروسى B or C :

خاصة لدى مدمنى الهيروين الذين يتعاطونه بواسطة الحقن (الزرق) بالوريد، وقد يتحول نسبة من المصابين بالالتهاب الكبدى الفيروسى إلى الإصابة المزمنة النشطة، والذى قد ينتهى بدوره إلى تليف الكبد، كما أن نسبة ليست بالقليلة تصاب بورم (سرطان) الكبد.

٣- الإنتان الدموى Septicaemia :

تنتقل الميكروبات بواسطة الحقن الملوثة أو المواد المغشوشة التى قد توجد فى الهيروين إلى الدم، وتنتقل الميكروبات عبر الدم إلى القلب فتسبب التهابًا فى غشاء القلب الداخلى، وقد تسبب التهابًا وتلفًا بصمامات القلب أو تنتقل الميكروبات إلى الدماغ؛ فتسبب التهـاب الدماغ بالمخ أو التهاب سحايا المخ، أو التهاب النخاع الشوكى أو تنتقل إلى الرئتين فتسبب التهابًا رئويًا أو خراجًا بالرئة، وتغيرات أخرى بالرئة وبشرايينها.

٤- **إصابات عامة بواسطة الدم فى مختلف أعضاء الجسم مثل :** مرض الزهرى؛ نتيجة ارتكاب المدمن لفاحشة الزنا.

٥- **التهاب الأوعية الدموية فى موضع الحقن (الزرق):** ومن ثم إلى أماكن أخرى بالجسم، وخاصة شرايين المخ مسببة شللا، أو سكتة دماغية، أو التهاب الدماغ، أو خراجًا بالدماغ.

٦- **مرض الكزاز (التيتانوس)** الذى قد تختلط أعراضه آثار سحب للعقار فلا يتم التشخيص بدقة.

٧- **التهابات تحت الجلد وبالجلد :** منها الالتهاب الخلوى (الغلغمونى)، وحدوث خراجات بالجلد وقروح متصلبة.

• التسمم الحاد بالهيروين، أو المورفين:

يؤدى تناول جرعة من الهيروين أو المورفين بواسطة الزرق فى الوريد، وخاصة إذا كانت الكمية كبيرة نسبيًا (عشرون ملليجراما بالنسبة للمورفين، وعشرة ملليجرامات بالنسبة للهيروين) إلى حدوث حالة تسمم حاد.

وبما أن الهيروين والمورفين يباعان بطرق غير شريفة فى الأسواق ويكونان مغشوشين، وتختلف بالتالى كمية الهيروين والمورفين من جرعة لأخرى فقد لا تحتوى جرعة ما أكثر من واحد ملليجرام من الهيروين؛ بينما تحتوى الجرعة التالية على عشرين أو ثلاثين ملليجراما من الهيروين، وهذا يؤدى إلى التسمم الحاد الذى تتمثل أعراضه فى الآتى:

١- اضطراب التنفس، بل وأحيانًا توقف التنفس الفجائى.

٢- اضطراب ضربات القلب ونبض الشرايين اضطرابًا شديدًا قد يؤدى إلى الوفاة المفاجئة، أو جلطة بالقلب أو الدماغ.

٣- حدوث نوبات صرع وتشنج، أو جلطات بالدماغ، أو سكتة الدماغ والشلل.

٤- اضطرابات مركز تنظيم حرارة الجسم؛ فترتفع حرارة الجسم إلى درجة كبيرة.

٥- تضييق حدقة العين، ولكنها قد تتسع أو لا تتغير بسبب وجود مواد مغشوشة كما أن الحدقة تتسع فى اللحظات الأخيرة قبل الوفاة.

٦- قد تؤدى المواد المغشوشة الموجودة مع المادة المخدرة إلى تسمم مفاجئ فى الحويصلات الهوائية وشعيراتها الدموية بالرئتين؛ مما قد يؤدى إلى ظهور ارتشاح بالرئتين كما تحدث أيضًا حساسية Idiosyncrasy للمورفين أو الهيروين رغم أن هذا الشخص قد يكون تناول المورفين أو الهيروين لمدة طويلة ولم يحدث له هذا من قبل.

• التسمم المزمن بالهيروين أو المورفين:

يؤدى تكرار تناول الجرعات إلى حدوث تسمم مزمن الذى يؤدى إلى أعراض وعلامات مرضية نذكرها هنا بإيجاز:

١- تأثر الجهاز العصبى:

قد يحدث ضمور بالمخ (الدماغ) أو حالات جنون أو هذيان أو فقد الذاكرة وتبلد العواطف أو فقد المقدرة العقلية تدريجيًا كما تحدث جلطات دماغية، أو سكتات دماغية، أو شلل. وقد يرجع بعض هذه الظواهر والأمراض إلى وجود مواد مغشوشة، وخاصة فى الهيروين المستنشق.

وقد يحدث التهاب بالنخاع الشوكى؛ مما يؤدى إلى شلل كامل بالنصف الأسفل من الجسم مع فقدان القدرة على التحكم فى عملية التبرز والتبول، وفقدان المقدرة الجنسية كليًا.

وكثيرًا ما يحدث التهاب طرفى لعصب من الأعصاب الطرفية أو لمجموعة كاملة من هذه الأعصاب فى أى من الساقين أو الذراعين، وقد تحدث نوبات فقد الوعى.

٢- انخرام الحاجز الأنفى.

٣- التهاب وتخثر الأوعية الدموية السطحية.

٤- تأثر الكليتين وحدوث ما يسمى فى الطب المتلازمة الكلائية Nephrotic Syndrome :

مما يؤدى إلى فقدان الزلال (الاحين) فى البول بكميات كبيرة كما ينخفض مستوى الزلال فى الدم، ويصحب ذلك ارتشاح فى الجسم (وذمة) Oedema وقد تؤدى هذه الظاهرة (المتلازمة الكلائية) إلى الفشل الكلوى التام.

٥- اعتلال العضلات المزمن chronic myoptly :

وخاصة بعد أن يلجأ المدمن إلى حقن (زرق) الهيروين فى العضلات بعد أن تُسد الأوعية الدموية السطحية، فلا يستطيع حقنها بالوريد.

٦- اعتلال العضلات الحاد Acute Myoptly :

وتحدث هذه الظاهرة نتيجة التأثير السمى للمواد المغشوشة عندما تحقن بالعضلات.

٧- الاضطرابات النفسية والعقلية مثل :

ظاهرة الخرف Dementia، وفقدان الذاكرة، وتسطح العاطفة، وكثرة نوبات الشك (البارانويا) Paranoia، والاعتقادات الباطلة الزائفة Delusion ، كما تحدث هلوسات Hallucinations سمعية وبصرية. وقد يقدم المدمن فى هذه الحالة على جريمة الانتحار، أو جريمة القتل.

٨- الهيروين والمورفين والجنس :

قد يحدث أيهما أو كلاهما ضعفًا جنسيًا؛ حيث قد يسببان نقصًا فى إفراز الهرمونات المنمية للغدة التناسلية Gonadotrophic Hormones والتى تفرزها الغدة النخامية التى تهيمن على باقى الغدد فى الجسم، وقد تظهر على المتعاطى من الذكور أعراض الأنوثة، وذلك بسبب الزيادة النسبية لهرمون الأنوثة فى جسمه، والنقص فى كمية هرمون الذكورة (التستوستيرون).

٩- الهيروين والمرأة:

يقل إفراز الهرمونات المنمية للغدة التناسلية (وتفرز هذه الهرمونات المنمية من الغدة النخامية بالدماغ)؛ فيؤدى ذلك إلى اضطراب الدورة الشهرية وإلى انعدام أو انخفاض الرغبة الجنسية، وقد تضطر بعض المدمنات على المورفين والهيروين فى بعض البلاد إلى امتهان البغاء والعهر للتكسب والحصول على المال اللازم لشراء جرعات المورفين، أو الهيروين مما يعرضهن لخطر الإصابة بالأمراض الجنسية العديدة.

وإذا حملت المدمنة أدى ذلك إلى حدوث إجهاض، أو ولادة أطفال مشوهين، أو ولادة طفل ميت. والغريب أن الطفل قد يولد، وهو مدمن للهيروين أو المورفين فلا يسكت من الصراخ؛ حتى يعطى جرعة من هذه المواد المخدرة.

١٠- الهيروين والغدة الكظرية (الغدة فوق الكلوية):

يسبب الهيروين والمورفين نقصًا فى إفراز هذه الغدة، وخاصة هرمون الكورتيزول فيؤدى ذلك إلى انخفاض ضغط الدم، وإلى الشعور بالوهن مع إحساس مستمر بالدوار والإرهاق البدنى.

١١- تأثر الجهاز الهضمى:

قد يصاب المدمن بغثيان شديد وقئ عند تعاطى المادة المخدرة بالفم، وخاصة عند تناول هذه المواد فى المرات الأولى، وقد تقل الشهية للطعام بسبب تقلصات المعدة، والأمعاء كما يحدث أيضًا إمساك شديد.

١٢- تأثر الجهاز البولى:

قد يحدث احتقان المثانة وعدم القدرة على التبول والإحساس بالامتلاء السريع مع الرغبة فى التبول Urgency ومع هذا لا يستطيع الشخص أن يتبول بسهولة، وقد يستدعى ذلك أحيانًا استخراج البول بواسطة القثطرة.

١٣- تأثر الجلد:

تكثر الالتهابات الجلدية وتحت الجلدية، أو قروح مزمنة خشبية الملمس تحت الجلد مباشرة.

ثانياً: مثبطات الجهاز العصبى المركزى:

(أ) المنومات من مجموعة الباربيتيورات:

وتقسم هذه الباربيتيورات بناء على سرعة عملها، وسرعة تحطيمها بالجسم إلى ثلاث مجموعات رئيسية:

١- مجموعة طويلة المدى مثل: عقار الفينوباربيتال (اللومينال) ويمتد أثرها إلى ٢٤ ساعة.

٢- متوسطة المدى يمتد مفعولها إلى ثمان ساعات، ومنها عقار باربيتال (فيرونال)، وعقار ايباربيتال (اميتال)، نبتوباربيتال (سيكونال).

٣- قصير المدى، وكمثال هنا يذكر عقار بنتوباربيتال الصوديوم (النمبيوتال).

تأثير الباربيتيورات على الجهاز العصبى:

- يستخدم هذا التأثير من الناحية العلاجية أحيانًا فى تهدئة المرضى بالقلق وفى إحداث النوم لمرضى الأرق.

- وبعكس الأفيون والمورفين ومشتقاتهما فإن البابيتيورات تجعل الشخص الذى يتناولها حساسًا للألم، ولهذا لا ينصح بإعطاء الباربيتيورات لتسكين الألم، ولا حتى لإحداث النوم إذا كان الأرق ناتجًا عن وجود ألم بجهة ما من الجسم.

- ولهذه المواد تأثير مضاد للتشنج والصرع.

تأثير الباربيتيورات على التنفس:

تثبط هذه المواد الجهاز التنفسى، ولهذا قد يحتاج المصابون بالتسمم بها خاصة والمنومات الأخرى عامة إلى إجراء التنفس الاصطناعى لإنقاذهم،

ولايمكن إعلان وفاتهم إلا بتوقف جهاز التنفس الاصطناعى؛ لأن تأثير العقار المنوم قد يستمر لفترة تطول إلى أيام، وعليه لا يمكن إعلان الوفاة إلا بعد أن يختفى كل أثر للمادة المكونة من الدم.

تأثير الباربيتيورات على القلب والجهاز الدورى:

قد ينخفض ضغط الدم انخفاضًا كبيرًا عند المدمنين، أو الذين يحاولون الانتحار بكمية كبيرة من هذه المواد كما تنخفض أيضًا مقدرة القلب على الضخ، وذلك بسبب فشل الجهاز التنفسى.

تأثير الباربيتيورات على الجهاز الهضمى:

تسبب هذه المواد بطئًا فى حركة الجهاز الهضمى فإذا زال أثر العقار زادت حركة الجهاز الهضمى عن المعتاد، وقد تسبب هذه المواد زيادة فى عملية استقلاب كثير من المواد نتيجة تنشيط مجموعة من الخمائر (الإنزيمات) الموجودة فى الكبد. وهذا يفسر ظاهرة التحمل للباربيتيورات كما يفسر أيضًا قلة تأثير كثير من العقاقير إذا استخدمت فى نفس الوقت مع الباربيتيورات الأدوية التى تستخدم لزيادة سيولة الدم (منع تخثر الدم) مثل دواء الكومارين أو وارفارين.

تأثير الباربيتيورات على الكليتين والجهاز البولى:

قد يحدث تأثيرات متضادة، ولكن المحصلة لهذه التأثيرات هى قلة إفراز البول نتيجة انخفاض ضغط الدم، وزيادة إفراز الهرمون المضاد للإدرار الذى يفرزه الجزء الخلفى من الغدة النخامية، وإذا زادت كمية الباربيتيورات، كما يحدث فى حالات التسمم المقصودة وغير المقصودة فإن الكلى قد تفشل فى أداء وظيفتها؛ مما يستوجب إجراء إزالة السموم بالغسيل الكلوى سواء عن طريق الغشاء البريتونى بالبطن (الغسيل الكلوى البريتونى)، أو عن طريق الغسيل الكلوى الدموى (الديلزة الدموية).

ظاهرة التحمل فى مدمنى الباربيتيورات:

توجد هذه الظاهرة بشكل واضح فى هؤلاء المدمنين مما يؤدى إلى اعتماد نفسى وجسدى لدى من يتناول هذا الدواء لفترة بانتظام.

ظاهرة الاعتماد فى مدمنى الباربيتيورات:

تؤدى ظاهرة التحمل إلى ظاهرة الاعتماد فإذا انخفض مستوى العقار فى الدم، فإن ذلك يجعل الشخص المدمن يتوقف عن عمل أى شئ سوى البحث عن العقار المطلوب، وإذا لم يحصل الشخص على العقار المطلوب يصاب بمتلازمة أو ظاهرة الامتناع.

ظاهرة الامتناع فى مدمنى الباربيتيورات:

بداية ظاهرة الامتناع هو زيادة كبيرة فى مرحلة من مراحل النوم تسمى مرحلة حركة العين السريعة مع كثرة «الكوابيس» والأحلام المزعجة.

وقد يتعرض المتعاطى الممتنع للأرق والقلق، وارتعاش الأطراف، وكلما كان الباربيتيورات المسحوب ذو مفعول قصير المدى كانت أعراض الامتناع (سحب العقار) أسرع وأشد.

وقد تزداد الأعراض بعد مرور ١٢ إلى ١٦ ساعة من آخر جرعة على هيئة زيادة القلق والارتعاش عن ذى قبل، وضعف عام وآلام فى العضلات؛ نتيجة حدوث تقلصات بها مع غثيان وقئ، وانخفاض فى ضغط الدم عند الوقوف؛ مما يؤدى إلى الإحساس بالدوار أو السقوط عند محاولة الوقوف. ويتخلج المشى Ataxia، وتصاب مقلة العين بالتذبذب من مكان إلى آخر أى ما يسمى الرأرأة Nystagmus وقد تزداد الأعراض شدة فى اليوم التالى، ويبدأ المصاب بفقد وعيه تدريجيًا، وقد تحدث له نوبات صرع شديدة، ويبدأ المصاب فى الهذيان، ويضطرب سمعه وبصره، وتترائى له صور وهمية، ويسمع أصواتًا مزعجة مرعبة، ويفقد قدرته على تمييز المكان والزمان. ويحدث ذلك فى اليوم الرابع إلى

السابع، ويصحبه ارتفاع شديد فى درجة الحرارة، قد تصل إلى ما فوق أربعين درجة مئوية مصحوبة بخفقان شديد فى القلب، وانخفاض فى ضغط الدم، ويؤدى ذلك إلى الصدمة Shock، وأحيانًا إلى الوفاة.

وإذا قدر للمصاب الحياة حتى اليوم الثامن يدخل فى سبات عميق يفيق بعده، وقد تحسنت حالته إلى حد كبير، ويبقى لديه الضعف العام، وتخلج المشى، ورأرأة العين، وتلعثم الكلام لفترة أخرى معدودة بالأيام، أما التأثيرات النفسية، والاعتقادات الزائفة، بل، وأحيانًا الهلوسة فقد تستمر إلى بضعة أشهر.

وهذه الصورة التى سردناها تشبه تمامًا ما يحدث لدى سحب الكحول من مدمنيه.

وفى الباربيتيورات طويلة المدى فإن آثار سحب العقار تتأخر، ويظهر الهذيان Delerium Tremens فى اليوم السابع والثامن بدلاً من اليوم الرابع، وتأخذ الأعراض فترة أطول لكى تخفض.

ولقد علمنا عن مجموعة من الغرب قامت بالانتحار الجماعى باستعمال أقراص منومة (باربيتيورات) مع الخمر (الكحول)؛ حيث إن كلاً من المادتين يعمل بنفس الطريقة على تثبيط الجهاز العصبى، ويقوى كل منهما التأثير السئ للآخر.

(ب) الخمر (الكحول):

ربما كان إدمان الكحول هو الأكثر انتشاراً من إدمان المخدرات الأخرى إذا تكلمنا على مستوى العالم، ولكنها بصورة أقل على مستوى البلاد العربية والإسلامية.

وتتفق المصادر الطبيعية على أن الاعتماد على الكحول هو من أشد أنواع الاعتماد على العقاقير، وأن الاعتماد الجسدى، والنفسى على الكحول قد يحدث من شرب الكحول لمرة واحدة فقط.

الآثار الحادة للتسمم بالكحول:

تشوش الذهن، تلعثم الكلام، تخلج المشى Ataxia الرأرأة، ثم فقدان الوعى، ونوبات الصرع، انخفاض درجة الحرارة، شلل التنفس، وحدوث وفيات.

آثار سحب العقار:

الهذيان والارتعاش، الهلوسة، نوبات الصرع، الوفاة.

الآثار المزمنة للتسمم بالكحول:

آثار على الجهاز العصبى:

الذهان، الجنون، بارانويا ضمور المخ، ضمور المخيخ، إصابات عصب العين والعمى، الشلل الطرفى المتعدد، مرض البلاجرا (الذى يظهر فى صورة التهاب جلدى، وإسهال، والتهاب الأعصاب، واضطراب عقلى)، نزف تحت الأم الجافية بالمخ، زيادة نسبة السكتات الدماغية، إصابة الدماغ الكبدى نتيجة الفشل الكبدى.

آثار على الجنين فى الأم المدمنة:

صغر الدماغ، التخلف العقلى، العتة، البله، الجنون، صغر الفكين، صغر حجم العينين، عدم النمو العقلى والبدنى، عيوب خلقية فى القلب.

آثار على الجهاز الهضمى:

التهاب الفم والبلعوم والمرئ، سرطان المرئ، التهاب المعدة الضمورى، سرطان المعدة، التهاب الأمعاء الدقيقة والغليظة، سرطان الأمعاء، الالتهاب الكبدى والتليف الكبدى، والفشل الكبدى، والسرطان الكبدى، التهاب البنكرياس الحاد، وتحت الحاد والمزمن.

آثار على الجهاز الدورى والقلب:

تضخم القلب وهبوطه، زيادة فى ضغط الدم الشريانى، زيادة جلطات أوعية الدماغ، زيادة جلطات القلب.

آثار على جهاز الدم:

نقص خلايا الدم البيضاء - اضطراب الجهاز المناعى - فقر الدم (الأنيميا) الناتج عن نقص حمض الفوليك كذلك فقر الدم الانحلالى (متلازمة زيف) الناتج عن نقص الحديد، أو تكرر النزف - زيادة نشاط الطحال.

آثار على الغدد الصماء والاستقلاب:

زيادة فى نشاط الغدة الكظرية (فوق الكلوية)، وزيادة أولية فى نشاط الغدة الدرقية، ثم انخفاض شديد فى نشاطها، ضعف النشاط الجنسى، ونقص نشاط الخصيتين والمبيضين، مرض النقرس (داء الملوك).

آثار على العضلات والأوتار:

إصابات حادة ومزمنة بالعضلات، وتقلصات واعوجاج بالكفين (تقلصات دوبترين).

آثار على الجهاز التنفسى:

التهابات متكررة، التهاب رئوى، خراج الرئة، الأمبيما (صديد فى التجويف البللورى)، السل الرئوى (الدرن)، زيادة فى نسبة سرطان الحنجرة. قال رسول الله ﷺ: «لعن الله الخمر وشاربها، وبائعها، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه»[1].

ثالثا: مجموعة منبهات الجهاز العصبى:

سنأخذ هنا مثالين من هذه المجموعة هما الكوكايين والأمفيتامين.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة، وزاد وآكل ثمنها.

١- الكوكايين:

يستخرج الكوكايين من نبات الكوكا، وهو مسحوق ناعم بللورى أبيض عديم الرائحة يشبه الثلج.

ويتعاطى الكوكايين بواسطة الشم لدى الأغلبية العظمى من المتعاطين، حيث يقوم المدمنون أيضًا بشم الهيروين، وقد تُستنشق أبخرة الكوكايين، وقد يذاب الكوكايين فى الماء ثم يحقن فى الوريد، وقد يخلط فى هذه الحالة بالهيروين أو الميثاكولون أو الباربيتيورات ثم يحقن.

ويسمى خليط الهيروين والكوكايين «الكرة السريعة» لأنه سرعان ما يقذف بمتعاطيه إلى الغيبوبة والإدمان مع إحساس وقتى بالنشوة العارمة.

وقد يدخن الكوكايين أحيانًا بمفرده أو مخلوطًا كما سبق، وتتعاطى بعض العاهرات المدمنات الكوكايين عن طريق المهبل أو المستقيم كلبوس مهبلى أو شرجى كما يتم حقنه فى المهبل أو الشرج كحقنة مهبلية أو شرجية.

٭ إدمان الكوكايين:

يؤدى إدمان الكوكايين إلى شعور مؤقت وزائف بالسعادة، ومع تكرار الاستخدام يحدث تحمُّل وتعوُّد بحيث لا يصبح الشخص المتعاطى يشعر بالسعادة، بل على العكس من ذلك قد تحدث نوبات قلق شديد، ويحدث نشاط بدنى متعدد دون هدف.

وقد تحدث للمتعاطى المدمن نوبات كآبة شديدة بمجرد انتهاء مفعول العقار، وعادة ما ينتهى مفعول العقار خلال ثلاثين أو أربعين دقيقة، مما يضطر المدمن إلى البحث عن جرعة جديدة، وهكذا يقضى يومه بحثًا عن العقار.

ويؤدى استخدام العقار المتكرر إلى اتساع حدقة العين، وإلى شحوب الغشاء الداخلى للأنف، ومع تكرار الاستنشاق قد يحدث انثقاب فى حاجز الأنف.

وقد تظهر على المدمن تقلصات وارتعاشات فى عضلات الوجه واليدين، وتحدث هلوسات سمعية وبصرية، وحسية، وقد اشتهر مدمنو الكوكايين بشكواهم المستمرة من الحكة التى تسببها حشرات وهمية تحت جلودهم؛ حتى يدمى الواحد منهم جلده من كثرة الهرش والحكة، وتعرف هذه باسم حشرة الكوكايين. ويفقد المتعاطى شهيته، ويصاب بالأرق والهزال، وفقدان الرغبة الجنسية.

وسرعان ما يصاب المتعاطى بتدهور فى قواه العقلية حتى يصل إلى مرحلة الجنون، ويصحب ذلك تدهور شديد فى الصحة الجثمانية، وتضعف مقاومة الجسم للأمراض المختلفة.

٢ - إدمان الأمفيتامين ومشتقاته:

ينشط الأمفيتامين الجهاز العصبى المركزى، والجهاز التعاطفى (السمبثاوى) بصفة خاصة، وقد يستعمله بعض الطلاب أثناء فترة الاختبارات، ليساعدهم على مواصلة السهر، ورغم أن الشخص يشعر بالنشاط إلا أن أداءه يكون سيئا.

وقد يدخل المتعاطى فى حلقة أو دوامة من تعاطى الحبوب المنومة؛ حتى يحصل على النوم، ثم يستعمل الحبوب المنبهة فى الصباح.

وقد تستخدم بعض النساء مشتقات الأمفيتامين من أجل إنقاص الوزن، والحصول على الرشاقة المتوهمة؛ مما قد يؤدى إلى مضاعفات بل حدوث وفيات.

ويستخدم الأمفيتامين عادة على هيئة أقراص، وقد يستعمل بواسطة الحقن، ويؤدى ذلك إلى شعور غامر بالسعادة الوقتية الزائفة، وإلى تدمير الجهاز العصبى، وحدوث الجنون.

وقد لا يكتفى المدمن باستعمال الأمفيتامين بل يخلطه بمواد أخرى مثل الباربيتيورات أو الكوكايين أو الهيروين، ويحقن ذلك كله عن طريق الوريد؛ ليصل إلى الغيبوبة القصوى التى قد تؤدى إلى الوفاة.

رابعًا: مجموعة المهلوسات (أى التى تسبب الهلاوس):

الحشيش (الماريوانا أو القنب)

النبات الذى يؤخذ منه الحشيش هو نبات القِنَّبْ وهو قوى الرائحة ذو سوق خشنة الألياف، وزهرات صغيرة، وتفرز من القمم المزهرة من النبات المؤنث بصورة خاصة مادة رائحية تسبب نوعًا من الانبساط عند تناولها سواءً عن طريق التدخين (الشيشة، الجوزة، السجائر) أو عن طريق الفم، وتأثير التدخين أقوى بثلاثة أضعاف من تأثير تعاطى الحشيش بالفم.

وللحشيش أسماء كثيرة فى البلدان المختلفة؛ تبعًا للمنطقة التى يزرع أو يستهلك فيها، وتسمى المادة النقية الفعالة المسببة لحصول الحالة المزاجية الخاصة بالحشيش دلتاتيترا هيدروكانيبول (THC (Tetra hydrocannibal، وهذا المركب له تأثير دوائى وتأثير نفسى أما المركبات الأخرى التى قد تكون مختلطة معه فى الحشيش فلها تأثير دوائى فقط دون أى تأثير نفسى، ونحن عندما نتحدث عن تأثيرات الحشيش (أو الماريوانا) فإننا نقصد بصفة رئيسية تأثير هذا المركب، وإهمال التأثيرات الدوائية للمركبات الأخرى. ولكن مع الأخذ فى الاعتبار أن الحشيش قد يكون مختلطًا بمواد كثيرة ضارة وسامة ومسببة للسرطان.

*** تأثير الحشيش على وظائف أجهزة الجسم:**

هذه بعض تأثيرات الحشيش نتيجة المشاهدة والكشف الطبى، أو انطباعات المدمنين:

الجهاز العصبى:

- الارتعاش أو الارتجاف.
- ضعف الأطراف وأحيانًا الشعور بخفتها.
- تنميل الأطراف.
- الشعور بثقل الرأس.

- الدوار (الدوخة).

- الخمول والكسل.

- النعاس والنوم.

القلب والجهاز الدورى:

- زيادة عدد ضربات القلب، أو أحيانًا انخفاضها.

- عدم انتظام ضربات القلب.

- ارتفاع ضغط الدم، أو أحيانًا انخفاضه.

- تغيرات فى نظام تخطيط القلب (رسم القلب).

التنفس:

- ضيق الصدر.

- تهيج أنسجة الرئة مع مصاحبة التهابات مزمنة.

- تخفيض من سعة الرئة Vital Capacity.

- زيادة نسبة الإصابة بالربو.

- زيادة نسبة الإصابة بسرطان الرئة.

- ضعف الجهاز المناعى يؤدى إلى زيادة نسبة الالتهاب الرئوى.

الجهاز الهضمى:

- جفاف الفم، وجفاف الحلق.

- الغثيان والقئ.

- الجوع (زيادة الشهية).

- الإسهال.

- العطش .

- آلام فى منطقة البطن .

العضلات :

- ارتخاء العضلات ، ووهن العضلات .

- الشد العضلى مع ألم فى العضلات .

- التخلج Ataxia (عدم القدرة على تنظيم ، أو تنسيق الحركات الإرادية) .

العين :

- احمرار العين .

- توسع حدقة العين .

- ارتخاء الجفن العلوى .

- الرأرأة (تذبذب العين من جهة لأخرى) .

البول :

- كثرة البول .

أعراض عامة :

- انخفاض درجة حرارة الجسم .

- حمى .

- شحوب اللون .

التأثير على الجنين :

- ثبت أن الحقن يؤثر سلبًا على عوامل الوراثة والكروموسومات التى تنتقل بدورها إلى الجنين ، وتظهر أمراض خلقية صبغية بعضها خطير .

الجهاز التناسلى:

- تغيرات وظيفية، فى الجهاز التناسلى مع احتمال فقدان الرغبة الجنسية (بعكس ما يعتقد ويتخيل المدمن).

- انخفاض فى هرمون الذكورة ونقص فى إنتاج الحيوانات المنوية، وبالنسبة للإناث اضطرابات الدورة الشهرية، وتكرار حدوث الطمث.

التغيرات العاطفية:

- النشوة (لذة الخيال).
- شقوة الخيال.
- القلق (حالة عاطفية؛ تتسم بالخوف، وعدم التأكد من المستقبل).
- العُجْب وارتفاع المعنوية.
- الإحساس بالطيبة.
- سهولة التأثير بالإيحاء، وأفكار الآخرين.
- الجبن.
- الذعر بدون مبرر.
- الخوف من شر مرتقب.
- الكسل.
- فتور الإحساس، أو الشعور (بالامبالاة).
- فتور الهمة.
- الاكتئاب.
- الانطواء (الإحساس بالعزلة).
- التهيج.

- السبات أو النعاس .

- العدوانية .

- الانفتاح .

- الابتهاج .

- البلاهة .

- عدم الراحة .

التغيرات السلوكية:

- كثرة الكلام .

- سرعة التحدث .

- عثرة التحدث .

- الصخب .

- المزاح والهزل .

- الضحك المفاجئ لأتفه الأسباب، أو بدون سبب .

- الانفعال - الاهتياج .

- الصمت .

التغيرات الإدراكية:

- اختلال فى الذاكرة (قصير المدى) .

- أفكار غير مترابطة .

- عدم القدرة على التركيز والانتباه .

- اختلال فى تداعى الأفكار والخواطر والمعانى .

- تغيرات فى الواقعية .

- اختلال فى إدراك الزمان والمكان .

- تفسيرات خاطئة ، أو زائفة للانطباعات والأحاسيس .

- اعتقادات ومفاهيم خاطئة .

- هلوسة سمعية وبصرية .

- فقدان الشخصية .

- الشك فى الآخرين .

- عجز عن التفكير المتسلسل .

- تغير فى الوضوح والذكاء والدراية .

- تغير فى الإحساس الجنسى .

- الإحساس بالانطلاق .

- تغير فى البصيرة ، والثقة بالنفس .

إدعاءات المدمن :

هذه الادعاءات قد تكون نتيجة لتغيرات فى الإدراك الحسى .

- توسع فى مدارك العقل والفكر ، وتمكنه من الإبداع .

- القدرة على التفكير بوضوح .

- زيادة الإحساس بالجمال .

- تطور المواهب الفنية .

- إجادة العزف على الآلات الموسيقية .

- تبدو الموسيقى أكثر طربًا .

- تألق الألوان.

- يبدو الصوت أكثر وضوحًا وتمييزًا.

- زيادة حساسية الشم والتذوق واللمس.

وهذه الإدعاءات تخالف الواقع لكون المدمن واقع فى خداع، وتوهم مع وجود خطأ أو تصور فى تفسير المحسوسات والأحداث. ومن الوهم الزائف أن الحشيش يطيل فعل الجنس والحقيقة أن الشخص المتعاطى يفقد تقديره للزمن فيحسب الثوانى أو الدقائق ساعات طوال.

تأثير القيم الاجتماعية لدى المدمن:

- فقدان البواعث الداخلية الذاتية والحوافز والطموح.

- فقدان الاهتمام بالأمور، والأحوال المحيطة.

- التردد فى اتخاذ القرارات.

- إهمال النظافة الشخصية والمظهر العام.

- فقد الاهتمام بالتعليم أو العمل.

- يعتقد فى الإنجاز الذاتى؛ فالإنجازات لديه ستتم بدون جهد وعناء.

- سهل الانقياد ولا يقاوم أتفه المغريات.

- دائم التساؤل.

- يتفادى الاختلاط والاندماج مع المجتمع.

- قد يلجأ إلى ارتكاب الجرائم.

- يتركز اهتمامه على الحصول أو البحث عن الحشيش.

* ويشبه الحشيش عقار ل.س.د L.S.D من ناحية إحداث هلوسة، ولكنه يختلف عنه فى كونه لا يسبب تنبيهًا للجهاز العصبى التعاطفى، وبينما لعقار L.S.D خصائص تنبيهية نجد أن الحشيش مهدئ للجهاز العصبى.

* ويسبب الحشيش اعتمادًا (إدمانًا) نفسيا فقط، ولا يسبب اعتمادًا جسديًا كما يفعل الأفيون ومشتقاته، والخمر والباربيتيورات، بل إن الاعتماد النفسى أقل بكثير من الاعتماد النفسى الذى يحدث لمتعاطى الكوكايين أو الأمفيتامين؛ ولذلك فإنه من السهل على متعاطى الحشيش أن يقلع عنه، ولا يحتاج مدمن الحشيش لإدخاله فى مصحة خاصة، كما قد يحتاج غيره من مدمنى المواد الأخرى.

* * *

خامسًا: الوقاية المبكرة من إدمان المخدرات:

يحافظ الإسلام على العقل من خلال تحريم كل ما يذهبه، أو يفسده، أو يسبب أى ضرر من الأضرار على المدى القريب أو البعيد سواء على شخصية الفرد (بما فى ذلك طمس الشخصية الإسلامية) أو دينه أو أسرته أو مجتمعه.

ولهذا كانت أهمية الوقاية من تعاطى هذه المخدرات وتأثيرها على العقل والجسد والمال، والاكتشاف المبكر لمشكلات التعاطى وتجنبها، ويشتمل المعنى الصحى (والطبى) للوقاية من تدمير هذه المخدرات ما يأتى:

* القضاء على أسباب المرض بالإضافة إلى علاج المرضى الموجودين فعليًا.

* التركيز على الأشخاص الأكثر قابلية واستعدادًا للوقوع فى مصيدة المخدرات، ومحاولة خفض نسبتهم أو منعهم تمامًا.

* استئصال ومنع توافر وتداول المخدر للأغراض غير الطبية.

* تقويم الإنسان حتى لا ينساق وراء هذه المخدرات، ويكبح نزواته، وشهواته، وغرائزه.

* تقويم البيئة والمجتمع وما يؤثر فيهما من تعليم، وإعلام، وقيم وعادات، وسلوك، وأهداف سياسية.

* التوعية الشاملة لجميع فئات الشعب عن مصادر هذه المخدرات، وتجنب من يفسدون فى الأرض من مروجيها ومهربيها، وخطورة الإصابة بأمراضها،

وإدمانها، وتوضيح أعراضها المبكرة، والمتأخرة، وطرق وأماكن علاجها، وعلى الآباء والأمهات ملاحظة أى تغير فى سلوك أبنائهم حيث قد يصبحون مهملين لدراستهم، وطعامهم، وثيابهم ويكثر تغيبهم من المنزل، وقد يفقدون ما كانوا يتحلون به من أدب وخلق، وتسوء معاملتهم، ويكثر انطوائهم وانعزالهم.

كما ينبغى ملاحظة الأصدقاء، وهل تغيرت المجموعة السابقة، أو أضيف إليها عنصر جديد.

ويجب على الأبوين بحث الأمر بهدوء حتى تتم معرفة الأمر، وعليهم أن يتعاونوا مع السلطات حتى يمكن اكتشاف الحلقات التى تمد هؤلاء الشباب والصغار بالمخدرات.

أولا: طرق الحد من انتشار المخدرات:

(أ) ضبط صرف الدواء فى المجالات الطبية، وتقييد استخدام الدواء، وعدم صرفه إلا بوصفة طبية (روشته)، وفى الحالات الضرورية يصرف بوصفة طبية خاصة تصرف بدورها للطبيب من الجهات الصحية الرسمية، وتحت إشراف ورقابة صارمين.

كما يجب توعية وإخطار الأطباء أولا بأول عن أى دواء أو مادة ذات أثر مخدر ينتج حديثًا، ويخرج إلى مجال الاستعمال فى مهنة الطب.

(ب) منع انتشار المواد المخدرة والإتجار بها إلا للأغراض الطبية، ويتولى سن وتطبيق التشريعات الوقائية بهذا المنع.

١- الجهات التشريعية:

* الهيئات والجهات التشريعية الدينية.

* الهيئات التشريعية البرلمانية.

* وزارة الداخلية التى تقوم بإصدار الأنظمة والتعليمات وتعميمها.

٢- **الجهات التنفيذية**، وتشمل : وزارة الصحة، ووزارة الإعلام، والهيئات القضائية.

ثانيًا: الوقاية عن طريق دراسة شخصية الأفراد الأكثر استعدادًا:

تتحدد العوامل التى تؤثر فى شخصية الفرد بطبيعة تنشئته التربوية، والقيم التى نشأ عليها:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عـوده أبـــوه

وكذلك تعرض الفرد حاليًا أو سابقًا لحالات آلام أو قهر أو اضطهاد أو اعتداء جسدى أو عصبى أو جنسى، كما يتأثر الطفل بوقت فراغه، وسلطة الأبوين خلال مرحلة تنشئته.

وبداية لابد من التعرف على طبيعة مرحلة الطفولة، والمراهقة والشباب، ثم معرفة العوامل التى تؤدى إلى الانحراف والإدمان.

• العوامل المؤثرة فى مرحلة الطفولة:

١- تخلى الوالدين عن تربية الولد (أنثى أو ذكر) مما يؤدى إلى خلل فى سلوكيات الطفل، وخاصة الأم، فدورها كبير فى حمل الأمانة، والقيام بواجب المسئولية تجاه من ترعاهم، وتقوم على تربيتهم، وتشرف على إعدادهم وتوجيههم، وأهمية الأم ترجع إلى ملازمتها لطفلها منذ ولادته إلى أن يشب ويترعرع فهى أول من يكتشف الخطأ، وهكذا يمكن علاج أى خلل فى السلوك والأخلاق عند بدايته قبل تفاقمه.

ومشكلة الطلاق قد تؤدى إلى تشتت الأولاد، وضياعهم أو انحرافهم، وقد ينساقون إلى تعاطى المخدرات كعلاج ذاتى.

٢- سوء معاملة الأبوين للطفل أو معاملته بقسوة بالضرب المبرح أو التوبيخ المقرع أو الازدراء والتشهير والسخرية، وقد يكون رد الفعل ظاهرة الخوف والانطواء، وقد يدفعه ذلك إلى الخروج عن طوع الوالدين، أو ترك البيت نهائيًا

إلى الأوساط الفاسدة، وإخوان السوء أو مروجى المخدرات، وهؤلاء بدورهم قد يجعلونه أداة طيعة فى أيديهم مرتبطًا بهم.

٣- الحالة الاقتصادية سواء أكان فقرًا يؤدى إلى الانحراف أم وفرة فى المال دون توجيه سليم يؤدى إلى تعاطى المخدرات بدافع التقليد، والاستكشاف، وإبراز الشخصية.

٤- الأفلام الجنسية، والعنف والجريمة، وتأثير باقى وسائل الإعلام مما يتصل فى مخيلة بعض الأطفال، ويجعله يحب التقليد والتوجه إلى الرذيلة والفساد والمخدرات.

• العوامل المؤثرة فى مرحلة المراهقة والشباب:

١- المال:

تؤدى زيادة المقدرة الشرائية ووجود المال فى يد من لا يحسن إنفاقه وأداء حق إنفاقه إلى الترف والإنفاق للاستمتاع بالوسائل الترفيهية وارتياد الأماكن الموبوءة، ويكون هؤلاء المراهقون والشباب صيدًا سهلا لتجار المخدرات.

٢- الصراعات النفسية:

تؤدى بعض هذه الصراعات التى قد تتطور إلى أزمات حادة تدفع المراهق إلى المعالجة الذاتية بأدوية المخدرات ما لم يلق المساندة والرعاية التى افتقدها فى وقت من الأوقات.

٣- الضغوط الاجتماعية:

وذلك نتيجة صراع بين المراهق أو الشباب، ومعتقداته وبيئة المجتمع من حوله مما قد يدفعه إلى العزلة والانطواء بدلاً من التفاعل والانفتاح؛ مما قد يؤدى إلى تحفيز تعاطى المخدرات.

٤- الاختبارات والقرارات بالنسبة لتحديد مستقبل حياته:

وهذه تؤكد فترات من القلق والتشتت النفسى فلا تتضح له الرؤية؛ فيتأرجح تحت تأثير الأفكار المختلفة.

٥- محاولة التعرف على ملامح الشخصية المدمنة للمخدرات:

- السن:

سن الشباب والمراهقة هو السن الأكثر قابلية للإدمان، ويرى العلماء أن سن السادسة عشر تقريبا هو السن الحرج لتعاطى المخدرات.

- الجنس:

لم يجد العلماء فارقًا محسمًا بين الإناث والذكور فى المجتمعات الغربية، ولكن فى مجتمعاتنا العربية والإسلامية قد تكون الصورة مغايرة لذلك.

- الطبقة الاجتماعية:

تختلف الدوافع للإدمان على المخدرات من طبقة إلى أخرى بين طبقات المجتمع الدنيا والوسطى والراقية فقد يدفع الحرمان والمعاناة، ومخالطة أوساط أعمال، وفئات ينتشر بينها تداول المخدرات بين مدمنى الطبقة الدنيا، بينما تدفع السيولة المالية، والتدليل، والترف، وانشغال الأبوين مدمنى الطبقة الراقية.

- الحالة الاجتماعية:

يعتبر الشخص غير المتزوج (العزب)، والمطلقون الأرامل أكثر عرضه للإدمان لما يسود بينهم من مشكلات اجتماعية، ونفسية، وجنسية.

- الأسرة والمجتمع:

تزداد قابلية الإدمان فى حالات تفكك العلاقات الأسرية أو الصراعات داخل الأسرة، كما أن عادات وتقاليد المجتمع ومدى نظرته لمواد الإدمان واستعمالها، ولمن يستعملها تؤثر فى نسبة وجود المدمنين فى ذلك المجتمع.

- الأزمات والكوارث:

قد تؤدى إلى صدمة أو دهشة، وذهول، وحيرة، وتقلص التركيز، وتبلد الانفعال؛ مما قد يؤدى إلى الإدمان.

- **ضعف الوازع الدينى :**

وقد سبق سرد مناقشة ذلك فى مكان آخر من هذا الكتاب.

● **سبل الوقاية من إدمان المخدرات:**

- **مرحلة الطفولة:**

لابد من توافر بيئة أسرية مستقرة لينشأ الطفل بصورة طبيعية، كما يجب على الوالدين معاملته على أسس تربوية سليمة، وتوفير احتياجاته المادية، والجسدية، والنفسية إضافة إلى إرساء القيم الخلقية فيه كما شرع الله وجاءت به سنة الرسول القدوة الحسنة والسراج المنير والهادى البشير ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١] كما يمكن تشجيعه على الرياضة البدنية، والسباحة، وركوب الخيل، وتنمية المواهب والقدرات.

- **مرحلة المراهقة والشباب:**

* التمسك بالدين يرشد إلى الحق فى الاعتقاد، وإلى الخير فى السلوك، والمعاملات، ويؤدى هذا إلى حالة النضج المبكر ﴿ **إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ﴾ [الكهف : ١٣].

* كما أن الدين ملاذ عظيم، ومنقذ كبير من كثير من المشكلات الانفعالية، والصدمات النفسية، والنزعات الجنسية.

* تزكية نفوس الشباب بتأدية أعمال الخير بالإضافة للشعائر التعبدية، واكتساب خبرات مهنية، ومهارات فى شتى المجالات، والسعى لطلب الرزق ورعاية الضعفاء والمحتاجين.

* إعطاء الشباب فرص المشاركة الإيجابية، والتعبير والحوار، وإثبات الذات، والشعور بالانتماء، والفعالية، والقدرة الذاتية.

* تسهيل سبل الزواج، وإيجاد بدائل مختلفة لشق الطريق نحو المستقبل.

* إقناع المدمن بأن باب التوبة مفتوح يطهر بها نفسه، وهذا يفيد فى تقبل علاج الإدمان، وبدء حياة جديدة.

* * *

الفصل الرابع

المخدرات والمفترات فى ميزان الشرع

أولاً: الحكم الشرعى فى تعاطى المخدرات

ثانيًا: الحكم الشرعى فى تناول المخدرات أو المفترات للتداوى، وعن طريق الحقن

ثالثًا: الحكم الشرعى فى تداول المخدرات والمفترات، والجلب والتصدير

رابعًا: الحكم الشرعى فى الجلوس فى مجالس المخدرات والمفترات

الفصل الرابع(*)
المخدرات والمفترات فى ميزان الشرع

أولا: الحكم الشرعى فى تعاطى المخدرات:

المخدرات تؤدى إلى مضار بالغة الخطورة، ومفاسد كثيرة، فهى تفتك بالبدن إلى غير ذلك من المضار كما ذكرنا، ويقول بعض علماء الحنفية: «إن من قال بحل الحشيش زنديق مبتدع»، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار. وأن مبنى التشريع الإسلامى قائم على جلب المصالح ودرء المفاسد والمضار، وكان من الضرورى لشريعة تبنى أحكامها على حفظ المصالح، ودفع المضار أن تحرم كل مادة من شأنها أن تحدث مثل تلك الأضرار أو أشد سواء أكانت تلك المادة مشروبًا، أم جامدًا مأكولاً أم مسحوقًا أم مشمومًا.

والتشريع الإسلامى يدعو إلى المحافظة على الجسم والعقل، كى يكون الإنسان صالحًا فى مجتمعه.

وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢].

فتعاطى المخدرات حرام عملا بالقاعدة الشرعية التى تعتبر من أهم القواعد التشريعية الإسلامية، وهى دفع المضار وسد ذرائع الفساد ودرء المفاسد ومن المقاصد الضرورية للشريعة حماية للنفس.

• الحكم الشرعى فى تناول المفترات:

تناول المفترات حرام، والتحريم بنص الحديث الشريف الذى رواه أحمد ابن حنبل فى مسنده، وما رواه أبو داود فى سننه بسند صحيح عن أم سلمة: أن الرسول ﷺ: «نهى عن كل مسكر ومفتر» والرواة رجال الصحيح.

(*) بقلم: د. أحمد عبده عوض.

ويقول الفقيه ابن رسلان: نهى الرسول ﷺ عن كل مسكر ومفتر. وعطف المفتر على المسكر يدل على المغايرة بين المسكر والتفتير، لأن العطف يقتضى التغاير بين الشيئين، فيجوز حمل المسكر على الذى فيه شدة مطربة، وهو محرم يجب فيه الحد، ويحمل المفتر على النبات الذى ليس فيه شدة مطربة، يحرم أكله ولا حد فيه.

ويقول الرافعى فى باب الشرب: البنج لا حد فى تناوله لأنه لا يلذ ولا يطرب، ولا يدعو قليله إلى كثيره.

وفى فتاوى المرغنانى: البنج ولبن الرماك أى إناث الخيل حرام.

وقال ابن دقيق العيد: الجوز الهندى، والزعفران ونحوهما محرم الكثير منه لأضراره.

ويقول ابن حجر: عن جوزة الطيب (وهى من الفتراة):

«وقد استفتيت فى جوزة الطيب قديمًا، وكان قد وقع فيها نزاع بين أهل الحرمين، وظرفت فيها، ما لم يظفروا به فإن جمعا من مشايخنا وغيرهم، اختلفوا فيها، ولكن لم يذكر ما قاله فيها إلا على جهة البحث لا النقل».

ولما عرضت علىّ السؤال: أجبت بما صرح به ابن دقيق العيد أنها محرمة، ونقله المتأخرون من الشافعية والمالكية واعتمدوه.

٭ ونبات القات من (المفترات):

يقول العلامة ابن حجر: القات فيه مضرة دينية ودنيوية، وأن جميع الخصال المذمومة الموجودة فى الحشيشة موجودة فى القات، مع زيادة حصول الضرر فيما به قوام الصحة، وصلاح الجسد مع إفساد شهوة الغذاء والمياه، والنسل، وزيادة التهالك عليه الموجب لإتلاف المال الكثير.

ونبات القات محرم، لأنه من الشبهات التى يتأكد اجتنابها، بقوله ﷺ: «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

ويقول الرسول ﷺ: «لا يبلغ العبد درجة اليقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس»، «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، «لا ضرر ولا ضرار».

*** حكم تدخين التبغ (وهو مفتر):**

قد اجتمعت فيه عدة وجوه كل منها يصح أن يناط به الحكم بتحريم التدخين، ونذكر بعضها:

١- كون رائحته الكريهة تؤذى الناس، وعلى الخصوص فى مجامع الصلاة، ونحوها بل وتؤذى الملائكة المكرمين.

٢- وقد روى الشيخان عن جابر مرفوعًا: «من أكل بصلا أو ثومًا فليعتزل مسجدنا وليقعد فى بيته»، ومعلوم أن رائحة الدخان لا تقل عن رائحة البصل تنفيرًا.

وفى الصحيحين أيضًا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: «أن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه الناس»، وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «من آذى مسلمًا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله».

٢- الدخان خبيث ومعدود من الخبائث عند ذوى الطباع السليمة، وقد قال تعالى فى وصف الرسول ﷺ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] وخبثه من خبث مذاقه المر، ورائحته الكريهة.

٣- شرب الدخان مناف لقاعدة ترشيد الإنفاق، وشراء هذا الخبيث تبذير وقد وردت عدة آيات كريمة خاصة بترشيد الإنفاق بمعنى عدم الإسراف فيه أو التقتير فيه، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وأنزل الله تعالى فى سورة الإسراء ثلاث آيات تدعو إلى عدم التبذير وجعلت المبذرين فى منزلة الشياطين، ودعت إلى التوسط فى الإنفاق: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ

- الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٦ - ٢٩] . . والتبذير ما ينفقه الإنسان فى غير طاعة، وفى غير منفعة، وأى طاعة ومنفعة فى هذا؟

ولو فرض أن فيه نفعًا، فإن أضراره أضعاف أضعاف نفعه، وما كان ضرره أكبر من نفعه كان حرامًا ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

٤- المصلحة تتطلب تحريم تعاطى أو شرب الدخان حفظًا للمقصود الشرعى فى الحفاظ على النفس، والصحة، والمال.

٥- يقول الشيخ أحمد بن حجر آل وطامى البنعلى: الدخان مفتر وفى حديث أم سلمة: نهى الرسول ﷺ عن كل مسكر ومفتر.

آراء المذاهب الأربعة فى تحريم التبغ:

الشافعية:

منهم ابن علان شارح رياض الصالحين، وله رسالة فى الإعلام الإخوان بتحريم تناول الدخان، ومنهم الشيخ عبد الرحيم الغزى، وإبراهيم بن جمعان، وتلميذه أبو بكر الأهدل، والقليوبى، والبحيرى، وكثيرون غيرهم.

المالكية:

قال كنون محشى - شرح عبد الباقى على مختصر خليل - بعد كلام طويل:

الأكثرون من المتأخرين على المنع والتشديد، منهم العالم المحقق أبو زيد سيدى عبد الرحمن الفاسى قائلاً: إن الذى ينبغى اعتماده بلا ثنيا، ويرجع إليه فى صلاح الدين والدنيا، مع وجوب الإعلان والأعلام والإشادة فى جميع بلاد الإسلام أن الدخان المذكور حرام الاستعمال - لإقرار كثيرين ممن لهم تمييز وتجربه - بأنه يحدث تفتيراً ومنهم الشيخ إبراهيم اللقانى، وشيخه

الشيخ سالم السنهورى، وقال الشيخ خالد بن أحمد بن عبد الله المالكى الحضرى ساكن مكة: لا تجوز إمامة من يشرب التمباك، وإن لم يدمن عليه، والصلاة خلفه باطلة على الأرجح، ولا تجوز شهادته، وهى باطلة ولا يجوز الإتجار فى ذلك.

الحنفية:

منهم الشيخ محمد العينى، وله رسالة فى تحريمه، وقد ذكر تحريمه من أربعة أوجه:

١- خبيث ومحدود من الخبائث.

٢- أنه مسكر، بالنسبة لمن يتناوله أول مرة، ولمن تركه مدة ثم عاد إليه وهذا كاف فى القول بحرمته، ولا يلزم فى الحكم بتحريمه أن يكون مسكرًا لكل فرد يتعاطاه، ولاسيما المدمنين منهم.

وقد ثبت بالنقل المتواتر إسكاره - حيث إن كثيرًا من شاربيه فقدوا وعيهم، ولا ينكر هذا إلا مكابر.

٣- إنه مفتر (استرخاء الأطراف وصيرورتها إلى وهن وانكسار).

٤- كونه مفترًا مضرًا بالصحة باخبار الأطباء المعتبرين، وكل ما كان كذلك يحرم استعماله اتفاقًا.

والشيخ محمد الخواجة، وعيسى الشهاوى الحنفى، ومكى بن فروج، والشيخ سعد البلخى المدنى، وعمر بن أحمد المصرى الحنفى، وأبو السعود مفتى اسطنبول، وأبو الحسن المصرى الحنفى قال ما نصه: الآثار النقلية الصحيحة، والدلائل العقلية الصحيحة تعلن بتحريم الدخان الحنابلة.

أما الحنابلة فقد اتفقوا على تحريمه إلا القليل الذين لا يعتد بهم، وصار الأمر عند العوام من يقول بتحريمه قالوا: إنه حنبلى لظنهم أن النتن (الدخان) لم يحرمه إلا الحنابلة الوهابيين بزعمهم.

والحال أن الكثيرين من أتباع المذاهب حرموه، وألفوا فى تحريمه رسائل، ومن فقهاء الحنابلة الذين قرروا التحريم اثنين الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، والشيخ محمد ناصر بن معمر رحمه الله تعالى.

فتناول المفترات حرام، وتوجب التعزيز والتحريم يستند على القاعدة الشرعية (كل ما يضر فاعله أو شربه حرام) وتناول المفترات مضر.

قال تعالى:

﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء : ٢٩].

﴿ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥].

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧].

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [التغابن : ١٢].

* * *

ثانيًا: الحكم الشرعى فى تناول المخدرات، أو المفترات للتداوى، أو عن طريق الحقن للعلاج:

كان الناس فى الجاهلية قبل الإسلام يتناولون الخمر للعلاج، وجاء الإسلام فنهاهم عن التداوى بها. عن طارق بن سويد الجعفى أنه سأل رسول الله ﷺ عن الخمر، فنهاه عنها. فقال: «إذ ما أصنعها للدواء» فقال الرسول ﷺ: « إنه ليس بدواء ولكنه داء»، وقال الرسول ﷺ: «إن الله أنزل الداء، والدواء، فجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام».

سأل ديلم الحميرى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنا بأرض باردة، نعالج فيها عملاً شديدًا، وإنا نتخذ شرابًا من هذا القمح، نتقوى به على أعمالنا، وعلى برد بلادنا.

قال الرسول ﷺ: «هل يسكر؟ قال: نعم، قال: فاجتنبوه، قال: إن الناس غير تاركيه، قال: فإن لم يتركوه، فقاتلوهم».

وقال ابن مسعود فى المسكر: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم».

وعن أبى هريرة قال: «نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث. يعنى السم».

وقال الزهرى فى أبوال الإبل: «قد كان المسلمون يتداوون بها، فلا يرون بها بأسًا».

والناظر فى هذه الأحاديث يجد التصريح بأن الخمر ليست بدواء، بل إن الأمر لا يقف عند هذا الحد، ولكن جاوزه إلى التصريح كذلك بأنها داء إذن يحرم التداوى بها، كما يحرم شربها، وكذلك سائر الأمور النجسة، أو المحرمة.

وإلى هذا ذهب الجمهور، ويرى الشافعية جواز التداوى بجميع النجاسات سوى المسكر لحديث العرنيين فى الصحيحين، حيث أمرهم رسول الله ﷺ بالشرب من أبوال الإبل للتداوى.

ويرون حمل هذه الأحاديث على عدم الحاجة بأن يكون هناك دواء غيره يغنى عنه، ويقوم مقامه من الطاهرات، وقد قال البيهقى كذلك: إن صحت هذه الأحاديث فهى محمولة على النهى عن التداوى بالمسكر، والتداوى بالحرام من غير ضرورة ليجمع بينها وبين حديث العرنيين.

ويقول أبو زهرة: «إن الخمر محرمة لعينها، فلا يباح إلا لضرورة، وليس منها التداوى. لأن الخمر لا يغنى طريقًا للعلاج لأن هناك غيرها من الدواء الطاهر يفى بالغرض المطلوب.

وحكم تناول المسكرات تسرى على تناول المخدرات والمفترات للتداوى من باب القياس:

والرأى الراجح:

أن تناول القدر اللازم للتداوى من المسكر أو المخدر أو المفتر مباح.

أما إن كان تناولها لهوًا فهو حرام، ويعزر متناولها ولا يحد.

ومن اضطر إلى تعاطى المسكر أو المخدر أو المفتر للتداوى فله ذلك بشرط أن يكون ذلك بإذن من طبيب غير فاسق لأن المريض يكون فى حالة ضرورة، وقد ورد فى التشريع الإسلامى الشئ الكثير عن الحالة الضرورية.

والاضطرار هنا حالة تجعل الشخص يخرج على قواعد التشريع الإسلامى الناصة على التحريم - رغمًا منه - ودفعًا للضرر المتمثل فى مرضه، ولجوئه إلى التداوى نتيجة الظروف التى وجد فيها الشخص نفسه، فعمل على الخلاص من هذا المرض، ولا يجد أمامه سبيلاً إلا شرب المسكر أو المخدر أو المفتر.

يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الأنعام: ١١٩].

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

وهناك قواعد شرعية متعارف عليها، ويجوز الأخذ بها؛ مثل:

الضرورات تبيح المحظورات.

ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها، وما جاز لعذر بطل بزواله.

ارتكاب أخف الضررين عند تعارضها، والضرر لا يزال بضرر.

درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وقد أفتى ابن حجر المكى الشافعى حين سئل عمن ابتلى بأكل الأفيون والحشيش ونحوهما وصار حاله بحيث إذا لم يتناوله هلك.

أفتى: بأنه إذا علم أنه يهلك قطعًا حل له، بل وجب لاضطراره لإنقاذ روحه، ويجب عليه التدرج فى تقليل الكمية التى يتناولها شيئًا فشيئًا حتى يزول اعتياده والله أعلم.

* * *

ثالثا: الحكم فى الإتجار والجلب أو التصدير للمخدرات والمفترات:

الإتجار بالمخدرات أو المفترات أن يقوم شخص لحسابه الخاص بمزاولة عمليات تجارية معتادة قاصدًا أن يتخذ منها حرفة معتادة له، ويلزم فضلاً عن تعدد العمليات أن ينتظمها غرض محدد، وأن يكون الجانى كرس نشاطه بصفة معتادة للقيام بهذا العمال، والتعيش عن طريقة جلب المخدرات أوالمفترات:

إدخال المخدرات، أو المفترات إلى داخل البلاد.

تصدير المخدرات أو المفترات.

إخراج المخدرات أو المفترات إلى خارج البلاد، والجلب والتصدير جريمة قائمة بذاتها مستقلة عن الإحراز.

والإحراز فعل مادى يتضمن إخراج أو إدخال المخدر إلى البلد بأية كمية، وتقديره راجع لقاضى الموضوع.

والغالب فى الجلب أو التصدير للمخدرات أو المفترات بكميات ضخمة، وأن يقوم بالجلب أو التصدير أفراد عصابات المهربين، وتجار المخدرات أو المفترات.

*** الحكم الشرعى للإتجار بالمواد المخدرة والمفترة، واتخاذها وسيلة للربح التجارى:**

١- أنه قد ورد عن رسول الله ﷺ أحاديث كثيرة فى تحريم بيع الخمر.

قال النبى ﷺ: «إن الله حرم بيع الخمر والميتة، والخنزير والأصنام».

وورد عنه أيضًا أحاديث كثيرة مؤداها أن ما حرم الله الانتفاع به يحرم بيعه، وأكل ثمنه، واسم الخمر يتناول هذه المخدرات شرعًا فيكون النهى عن بيع الخمر متناولاً لتحريم بيع هذه المخدرات.

كما أن ما ورد من تحريم بيع كل ما حرمه الله يدل أيضًا على تحريم بيع هذه المخدرات، وحينئذ يتبين جليًا حرمة الإتجار فى هذه المخدرات، واتخاذها

حرفة تدر الربح فضلاً عما فى ذلك من الإعانة على المعصية التى لا شبهة فى حرمتها لدلالة القرآن على تحريمها بقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة : ٢]، ولأجل ذلك كان الحق ما ذهب إليه جمهور الفقهاء من تحريم بيع عصير العنب لمن يتخذه خمرًا، وبطلان هذا البيع لأنه إعانة على المعصية، وفى هذا أيضًا قال العلامة ابن القيم: «قال جمهور الفقهاء: إذا بيع العنب لمن يعصره خمرًا حرم ثمنه بخلاف ما إذا بيع ثمنه لمن يأكله، وكذلك السلاح إذا بيع لمن يقاتل به مسلمًا حرم أكل ثمنه، وإذا بيع لمن يغزو فى سبيل الله فثمنه من الطيبات».

وما تقضى الشريعة الإسلامية بمعاقبته - بقدرها - لأن للمضار غرضًا، هو إلحاق الضرر بالغير، فالله تعالى لم يكلف عباده فعل ما يضرهم، ولم يأمرهم إلا بما فيها صلاح دينهم، ودنياهم، ولم ينههم إلا بما فيه فساد دينهم ودنياهم.

٢- روى ابن شيبة عن ابن عباس قال: قال الرسول ﷺ: «إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه»، وإذا حرم ثمنه حرم ربحه الناجم منه، وحرم التصدق به والإنفاق منه فى سائر القربات - لما روى عن أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال: «من كسب مالاً حرامًا فتصدق به، لم يكن له أجر وكان أجره (إثمه وعقوبته) عليه».

٣- فى تداول المخدرات، والمفترات استهلاك للمال، وضياع للثروة للمشترين، والمستهلكين ونهى الرسول ﷺ عن التبذير. قال تعالى: ﴿وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

* حرمة الانتفاع بالمخدرات أو المفترات قياسًا على حرمة الانتفاع بالمسكرات:

يحرم على المسلم الانتفاع بالمخدرات أو المفترات قياسًا على حرمة الانتفاع بالمسكرات لأن الله تعالى أمرنا باجتنابها؛ فى الانتفاع بها أو الاقتراب منها.

فيحرم على المسلم تمليكها، وتملكها بأى سبب من أسباب الملكية، كالبيع والشراء ونحو ذلك لأن كل هذا انتفاع بالمحرمات، فالانتفاع بالمخدرات والمفترات حرام قال الرسول ﷺ: «إن الذى حرم شربها وحرم بيعها».

*** عدم ضمان غاصب المخدرات أو المفترات أو متلفها قياسًا على عدم ضمان غاصب الخمر أو متلفها:**

إذا كانت المخدرات أو المفترات لمسلم فإنها لا تعتبر منقوصة فى حقه، وإتلاف مال غير متقوم لا يوجب الضمان، ويجوز للإمام والحاكم وولى الأمر أن يحرق المكان الذى يباع فيه الخمر كالحانوت، والمحل، والدار، فقد كان أمير المؤمنين عمر يحرق الحانوت الذى يباع فيه الخمر.

*** تحريم كل وسيلة تؤدى إلى تداول المخدرات أو المفترات:**

قياسًا على تحريم الخمر يكون تحريم تداول الخمر أو المفتر فعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لعن فى الخمر عشرة: عاصرها، ومعتصرها، وشاربها، وحاملها، والمحمول إليه، وساقيها، وبائعها، وآكل ثمنها، والمشترى لها والمشترى له».

فيحرم عصر المخدرات أو المفترات واقتناؤها، وبيعها، وشراؤها وحملها من مكان إلى مكان بأى وسيلة نقل أو بواسطة آدمى برًا أو بحرًا أو جوًا، وتحريم استئجار مكان لبيعها أو حفظها.

* * *

رابعًا: الحكم الشرعى فى الجلوس فى مجالس تعاطى المخدرات والمفترات:

حكم الجلوس فى مجالس الخمر يسرى على مجالس المخدرات أو المفترات. والمسلم مكلف بمقاطعة مجالس الخمر، ومجالسة شاربيها.

وعن ابن عباس - رضى الله عنه - عن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يشرب خمرًا، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يجلس على مائدة يشرب عليها الخمر».

وعن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعد فى مجالس الخمر».

وما روى عن عمر بن عبد العزيز - أنه كان يجلد شاربى الخمر، أو من شهد مجلسهم وإن لم يشرب معهم.

وقد رفع إليه قوم شربوا الخمر، فأمر بجلدهم، فقيل له: إن فيهم فلانًا، وقد كان صائمًا فقال: به ابدأوا... أما سمعتم قول الله تعالى:

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

كرم الله الإنسان ونآى به عن مواطن الريب، والمهانة وامتدح عباده الذين تجنبوا مجالس اللهو واللغو ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣].

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

والمستفاد من هذه النصوص أنه يحرم مجالسة مقترفى المعاصى أيًا كان نوعها، لأن فى مجالستهم إهدارًا لحرمات الله، ولأن من يجلس مع العصاة الذين يرتكبون المنكرات يتخلق بأخلاقهم السيئة، ويعتاد ما يفعلون من مآثم كشرب المسكرات والمخدرات، كما يجرى على لسانه ما يتناقلوه من مساقط القول.

ومن أجل البعد بالمسلم عن الدنايا، وعن اعتياد ارتكاب الخطايا كان إرشاد الرسول ﷺ للمسلمين فى اختيار المجالس، والجليس فى قوله: «إنما مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسلك، ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن تبتاع منه، وإما أن يعطيك، وإما تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثًا»، وحذر الله من قرناء السوء، وعن مجالستهم.

﴿وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ [النساء : ٣٨].

إن المجالس التى تدع لتعاطى المخدرات أو المفترات مجالس فسق وإثم، وعلى الإنسان أن ينأى عن مجالس الشرب المحرم مخدرات أو مفترات مطعومة أو مشروبة أو مشمومة.

* * *

• وختامًا:

فإنه مما تقدم يتضح من أقوال الفقهاء القدامى منهم والمعاصرين أن تعاطى المخدرات (أى المواد المخدرة حرام شرعًا؛ لأنها تفسد العقول، وتضر بالصحة والمال والوقت)، واتضح لنا أن الشريعة الإسلامية الغراء لا تبيح بحال من الأحوال تعاطى أى نوع منها، مهما كانت الأسباب؛ طالما أنها مسكرة، وقد أوردنا الأحاديث الدالة على ذلك.

وقد حرمت الشريعة الإسلامية الإتجار فى الخمر، وما فى حكمها من المخدرات والمسكرات، وفى هذا جاء قوله ﷺ: «الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام».

وفى تحريم بيع هذه القاذورات الهدف الأسمى فى عدم المساعدة فى انتشارها، والإعانة على المعاصى، وقد ثبت أن الربح الناتج من عملية البيع حرام شرعًا.

كما أن الشريعة الإسلامية لم تبح زراعة الأفيون والحشيش وما فى حكمها من نباتات ذكرناها يستخلص منها ما يتعاطاه الناس ويتاجرون فيه، وقد وردت أحاديث عظيمة تحرم تلك الزراعة منها الحديث الذى رواه أبو داود وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قال: «إن من حبس العنب أيام القطاف حتى يبيعه لمن يتخذه خمراً فقد تفحم النار».

إضافة إلى كون الشريعة الإسلامية ترى فى إباحة زراعتها الإعانة على المعاصى، وهذا منهى عنه فى قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقد عدّ الشرع الحكيم ثمن المخدرات والمسكرات والخمور حرامًا، ومن هذا ما أشار إليه الحديث الشريف عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله إذا حرم شيئًا حرم ثمنه».

كما أن التصدق بمالها حرام، فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، وجاء فى هذا قوله ﷺ: «من كسب مالاً حرامًا فتصدق به لم يكن له أجر، وكان إصره (إثمه وعقوبته عليه)».

ولا يجوز كذلك الانتفاع بأموال المخدرات، وما فى حكمها فى أعمال صلة الرحم أو الحج أو القربات، أو الإنفاق فى سبيل الله، وفى هذا جاء قوله ﷺ: «من أصاب مالاً من مأثم فوصل به رحمه، أو تصدق به، أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك جميعًا قذف به فى نار جهنم».

فاللهم اعصمنا من الانحراف، وارزقنا الطاعة والاستقامة، واغلق علينا سبل الشيطان، وثبتنا على الحق وثبت الحق بنا، واجعلنا اللهم هداة مهتدين، واحفظ اللهم البلاد والعباد، وتوفنا اللهم مسلمين.

اللهم أتمم لنا نورنا، ونقنا من الوسواس والأرجاز، واحفظ اللهم شباب المسلمين من الانحراف والزيغ، والحمد لله رب العالمين.

* * *

بعض المراجع المستعان بها فى الفصول الأول والثانى والرابع

١- ابن حجر: **الزواجر**، ج١، القاهرة، مكتبة مصر، د.ت.

٢- ابن رجب الحنبلى: **جامع العلوم والحكم**، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

٣- أحمد على طه ريان: **المخدرات بين الطب والفقه**، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٨٤م.

٤- حسن فتح الباب، سمير عياد: **المخدرات سلاح الاستعمار والرجعية**، القاهرة، دار الكتاب العربى، ١٩٦٧م.

٥- زين العابدين محمد مبارك: **الكشف عن المخدرات بالوسائل العلمية**، الرياض، ١٤٠٤هـ.

٦- سامى مصلح: **رحلة فى عالم المخدرات**، القاهرة، دار البشر للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

٧- سعد المغربى: **سيكولوچية تعاطى الأفيون ومشتقاته**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦م.

٨- سلوى على سليم: **الإسلام والمخدرات**، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٠م.

٩- السيد سابق: **فقه السنة**، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.

١٠- صلاح يحياوى: **المخدرات**، القاهرة، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١م.

١١- طه عبد الله العفيفى: **من وصايا الرسول ﷺ**، القاهرة، دار الاعتصام ١٩٨٥م.

١٢- عبد الحكيم عفيفى: **الإدمان**، القاهرة، الزهراء للإعلام، ١٩٨٦م.

١٣- عبد الرحمن عبد القادر موسى: **المواد المخدرة وطرق مكافحتها** ، الرياض، ١٤٠٤هـ.

١٤- عبد الرحمن مصيقر: **الشباب والمخدرات فى دول الخليج العربى** ، البحرين، ١٩٨٥م.

١٥- عزت حسنين: **المسكرات والمخدرات بين الشريعة والقانون (دراسة مقارنة)**، ط١، القاهرة، ١٩٨٦م.

١٦- القرافى: **كتاب الفروق**، ج١، القاهرة، دار الكتاب، د.ت.

١٧- محمد الأحمدى أبو النور: **حكم تناول المخدرات والمفترات**، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ديسمبر ١٩٨٥م.

١٨- محمد رفعت: **إدمان المخدرات، أضرارها وعلاجها**، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٠م.

١٩- محمد محمود الهوارى: **المخدرات من القلق إلى الاستبعاد**، قطر، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، شوال ١٤٠٧هـ.

٢٠- محمد فتحى عيد: **تجارة الهيروين والكوكايين فى مصر والعالم** ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٢١- منصور الرفاعى عبيد: **الإسلام وصحة الإنسان**، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٩م.

٢٢- يوسف القرضاوى: **الحلال والحرام فى الإسلام**، القاهرة، دار القرآن الكريم، د.ت.

* * *

بعض المراجع المستعان بها في الفصل الثالث:

- **القرآن والسنة** .
- **كتب الطب العام** - Harrison, Cecil loeb.
- **مجلة الطب** Medicine .
- **من أضرار المسكرات والمخدرات** - عبد الله الجار الله .
- **الحشيش والماريونا** - عبد الرزاق سلطان.
- **الأضرار الفسيولوجية للمسكرات والمخدرات** - محمد على البار .
- **مجلة الأمن** عدد ١٣/ ١٤١٧هـ (المملكة العربية السعودية) .
- **المخدرات** - يس الخطيب .

* * *

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع
٢٨٢٣/ ٢٠٠٠
I.S.B.N.
977 - 294 - 174 - 0

مطابع أمـون
٤ الفهروز من ش إسماعيل أباظة
لاظوغلى - القاهرة
تليفون : ٣٥٤٤٥١٧ - ٣٥٤٤٣٥٦